علم الإمام عليه السلام

كتاب وجيز يبحث عن علم الإمام وكميته وكيفيته
عن طريق العقل والنقل

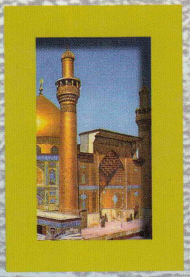

للعلامة الشيخ محمد المشهدي المظفري قدس سره
المتوفى سنة ١٣٨١هـ - ١٩٦١م

تحقيق
أحمد بن كاظم البغدادي

علم الإمام

كتاب وجيز يبحث عن علم الإمام وكميّته وكيفيته عن
طريقي العقل والنقل

للعلّامة الشيخ محمّد الحسين المظفّر قدس سره
المتوفّى سنة ١٣٨١هـ = ١٩٦١م

تحقيق:
أحمد بن كاظم البغدادي

مظفر، محمد حسين، ۱۳۱۲ ـ ۱۳۸۱ ق.
علم الامام: كتاب وجيز يبحث عن علم الامام وكميته وكيفيته عن طريقى العقل والنقل / لمحمد الحسين المظفر؛ تحقيق احمد بن كاظم البغدادى. ـ
قم: المكتبة الحيدرية، ١٤٣١ ق. = ١٣٨٩.
١٤٤ ص.
٥٠٠٠٠ ريال: ٣ - ١٩٨ - ٥٠٣ - ٩٦٤ - ٩٧٨ ESBN
فهرست نويسى بر اساس اطلاعات فيپا.
كتابنامه: ص١٣٥ ـ ١٣٧؛ همچنين به صورت زيرنويس.
١. علم امام . ٢. علم المام ـ احاديث. الف. بغدادى، احمد كاظم، محقق . ب . عنوان.
٢٩٧/٤٥ BP ٢٢٣/٣٤ / ٨ع ٦م
١٣٨٩

هوية الكتاب

الكتاب: علم الامام

المؤلف: العلامة الشيخ محمد الحسين المظفّر

الناشر: المكتبة الحيدرية

المطبعة: شريعت

الطبعة: الاولى ١٤٣١ ـ ١٣٨٩ هـ

العدد: ١٠٠٠ نسخة

عدد الصفحات: ١٤٤ صفحة وزيري

السعر: ٥٠٠٠ تومان

ردمك الكتاب: ٣ ـ ١٩٨ ـ ٥٠٣ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨

شبكة الفكر
alfeker.net

قال الامام الصادق عليه السلام:

«لَوْ كُنْتُ بَيْن مُوسىٰ وَالْخِضْرِ، لأَخْبَرْتهما أَنّي اَعْلَمُ وَلأَنْبَأْتُهما ما لَيْسَ في أَيْديهِما، لأنّ مُوسى وَالْخِضْرَ أُعْطِيا عِلْمَ ما كانَ وَلَمْ يُعْطَيا عِلْم مَا هُوَ كائِنٌ الى يَوْمِ القِيَامَةِ وإنَّ رَسُولَ اللهِ صلّى الله عليه وآله وسلّم أُعْطِيَ عِلْمَ ما كانَ وما هُوَ كائِنٌ اِلى يَوْمِ القِيامَةِ فَوَرِثْناهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلّى الله عليه وآله وسلّم وِراثَةً».

بحار الأنوار، ج٢٧، ص١١١.

الإهداء

الى سيدي ومولاي صاحب الزمان عليه آلاف الصلاة والتحية والسلام.

ارفع ثواب عملي هذا سائلاً المولى جل وعلا أن يستقبل هذا الجهد الضئيل ويجعله ذخراً يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، إنّه سميع الدعاء..

كما أهدي ثواب عملي الى اخوتي الذين فقدتهم وأنا بأمسّ الحجة لهم رضا وصلاح وقاسم، اللهم ادخل بعملي المتواضع هذا على أرواحهم السرور.

أحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلقه وخاتم أنبيائه محمدﷺ وعلى آله الطيبين الطاهرين واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين من الآن الى قيام يوم الدين.

وبعد:

قال الله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[1]. بهذا النداء الإلهي أفتتحت الشريعة الخاتمة مشروعها مع الإنسان على يد الرسول الخاتم حبيب إله العالين ﷺ والقراءة رمز للعلم والمعرفة، ومنها يعلم أهمية العلم في نظر الدين منذ انطلاقته الأولى. إلا أن العلوم ليست مرتبة واحدة، بل تتفاوت شرفاً وفضلاً وأهمية لتفاوت موضوعها المبحوث عنه وموقعيته بالنسبة الى الإنسان وعلى هذا الأساس يأتي علم الكلام في رتبة الصدارة في سلّم الهرم العلمي ويتربّع على قمته، وسببه يظهر من خلال هذه الوقفة السريعة مع تعريفه واستعراض.

---

(١) العلق: ١.

بعض فوائده:

قال القاضي عضد الدين الايجي (الكلام علم يقدر معه على اثبات العقائد الدينية بايراد الحجج ودفع الشبهة)، ثم قال: (وفائدته أمور:

الأول: الترقي من حضيض التقليد الى ذروة الايقان.

الثاني: ارشاد المسترشدين بايضاح المحجة، والزام المعاندين باقامة الحجة.

الثالث: حفظ قواعد الدين عن أن تزلزلها شُبه المبطلين.

الرابع: أن يبنى عليه العلوم الشرعية فإنّ أساسها.

الخامس: صفة النية والاعتقاد؛ إذ به يرجى قبول العمل.

وغاية ذلك كلّه ؛ الفوز بسعادة الدارين)[1].

منهجية التحقيق:

إن المنهجية لتحقيق هذا السفر القيم تتلخص في أمور:

١ ـ تخريج مصادر الكتاب.

٢ ـ تحديد الآيات القرآنية وترتيبها بالشكل البارز عن متن الكتاب، مع ذكر اسم السورة ورقم الآية.

٣ ـ الاشارة على بعض الكلمات الغامضة الواردة في الكتاب مع التعليق عليها.

٤ ـ تصحيح ما ورد من أخطاء مطبعية في متن الكتاب.

٥ ـ ذكر الأدلة التي أشار اليها المصنّف ولم يذكرها وفي بعض الأحيان المصنف

---

(١) المواقف ١: ٣١، ٤٠ ـ ٤١ باختصار.

يذكر الدليل من أحاديث طويلة أو خطب فحاولنا ذكرها كاملة.

في الختام نسأل الله تبارك وتعالى التوفيق للمزيد من بذل الجهد في سبيل إحياء كلمته العليا وأن يأخذ بأيدينا لما فيه صلاح الدنيا والآخرة إنّه سميع مجيب.

احمد

ترجمة الشيخ المظفّر

١ ـ نسبه

هو أبو أمين[١]، الشيخ محمّد حسين بن الشيخ محمّد بن عبد الله بن محمّد بن أحمد بن مظفّر، «من أعلام آل المظفّر... وأحد علماء العصر في النجف الأشرف»[٢].

كان والده الفقيه «الشيخ محمّد» المولود سنة ١٢٥٦ والمتوفّي في مستهلّ ربيع الأوّل سنة ١٣٢٢: من الفقهاء المرموقين المعروفين بسعة الاطّلاع والتحقيق، ظهر كمرجع للتقليد بعد وفاة أُستاذه الإمام الفقيه الشيخ محمّد حسين الكاظمي (١٣٠٧) الذي لازمه كثيراً واستقلّ في أواخر أيّامه بالبحث والتدريس.

---

(١) له من الأبناء أربعة بالإضافة إلى أمين، وهم: سعيد وزكي وأزهر وزيد، وله من البنات ثلاث.

(٢) من كتاب أعلام الشيعة، القسم الثاني من الجزء الأوّل، وهو (نقباء البشر في القرن الرابع عشر) تأليف الشيخ آغا بزرگ الطهراني (مؤلّف الذريعة إلى تصانيف الشيعة).

٢ ـ ولادته ووفاته

ذكر المؤرِّخ الكبير الشيخ آقا بزرك في كتابه «أعلام الشيعة» «ولد في عام (١٣١٢هـ) وتوفّي والده في الخامس من ربيع الأول عام (١٣٢٢هـ) فكفله أخوه الأكبر الشيخ عبد النبي المظفّر وقام بتربيته أحسن قيام حتّى أنّ الأب قلما يقوم بمثلها». كما ذكر الشيخ جعفر باقر آل محبوبة في كتابه ماضي النجف وحاضرها ما يلي: «ولد سنة (١٣١٢هـ) في اليوم الخامس من شوّال، وهو شقيق الشيخ محمّد حسن وأحد الأفذاذ من هذه الأسرة العلميّة الأدبيّة، ومات والده وهو ابن تسع سنين وأشهر فقام بكفالته وتربيته أخوه الأكبر الشيخ عبد النبيّ فكفله بحنان وعطف وربّاه تربية علميّة حسنة وغذّاه الفضل والأدب والأخلاق الفاضلة بأحسن الأساليب وأنجع الطرق»[1].

٣ ـ أُسرته

أُسرة المظفّر من الأُسر العلميّة في النجف الأشرف، عُرفت في أواسط القرن الثاني عشر الهجري وقطن بعض رجالها (الجزائر) في محافظة البصرة، ويقطن معظم رجالها حالياً في النجف والبصرة وكربلاء بالإضافة إلى بغداد.

ورد ذكرها في الجزء الثالث من كتاب ماضي النجف وحاضرها لمؤلّفه الشيخ جعفر محبوبة (ص ٣٦٠) كما يلي: (من أُسر العلم النجفيّة ونبعة من نبعات الأدب، عُرفت في النجف في أواسط القرن الثاني عشر وقطن بعض رجالها الجزائر فعُرف

---

(١) كتاب ماضي النجف وحاضرها، تأليف الشيخ جعفر باقر آل محبوبة الجزء الثالث، ويبحث عن تاريخ البيوت والأُسر العلميّة والأدبيّة النجفيّة غير العلويّة (ص ٣٧) مطبعة النعمان ـ النجف (١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٧م).

بالانتساب إليها وضاع لقبه الأصلي، وهي كثيرة العدد منتشرة في محلّات النجف، كما أنّها موزّعة في كثير من بلدان العراق وكثير منها في الجزائر، ولها بها المكانة السامية والشأن المرموق بعين التبجيل والاحترام، وهم قادة تلك الأنحاء وهُداتهم وأئمّة محاربيهم وأرباب فتاواهم، عنهم يأخذون مسائل الدِّين والسنن والآداب!! وهي سلالة علميّة يانع فضلها في مرابع العلم ونما غرسها في حقل الفضل والكمال».

٤ ـ مشايخه في العلم

نشأ الشيخ المظفّر في البيئة النجفيّة، ومجالسها وندواتها وحلقاتها ومحاضراتها ومدارسها، وحضر فيها حلقات الدراسة وتخرّج على كبار مراجع التقليد والتدريس وترعرع في هذا البيت العريق من بيوتات النجف العلميّة.

قرأ علوم العربيّة ثمّ أخذ بعض المقدّمات عن السيّد موسى الجصّاني ونظم الشعر منذ ذلك الحين فأجاد فيه وأبدع، وقرأ كتب السطوح على أخيه الحجّة المغفور له الشيخ محمّد حسن، وبعد الفراغ منها حضر في الخارج على الميرزا محمّد حسين النائيني والشيخ ضياء الدِّين العراقي والسيّد أبي الحسن الأصفهاني وأخيه الشيخ محمّد حسن حتّى بلغ درجة سامية في الفقه والأُصول والتاريخ والأدب وغيرها، وولع بالتأليف فطرق مواضيع مهمّة وأنتج آثاراً جليلة...)[1].

لم يتأكّد لدينا متى نال درجة الاجتهاد ونحن بصدد البحث في ذلك.

---

(١) معجم المؤلّفين، تراجم مصنّفي الكتب العربيّة، تأليف عمر رضا كحالة، ط الترقي بدمشق: ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠م، الجزء العاشر، ص٢٤٦.

٥ ـ آثاره العلميّة

أ ـ آثاره المطبوعة في حياته :

١ ـ تاريخ الشيعة (النجف ١٣٦١ هـ وعدّة طبعات أُخرى) .

٢ ـ الإمام الصادق عليه السلام ـ بجزئين (النجف ١٣٩٠ هـ وعدّة طبعات أُخرى) .

٣ ـ ميثم التمّار (الكتاب والعترة) ـ ترجم إلى الفارسيّة (النجف ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٧م).

٥ ـ الشيعة والإمامة (النجف ١٣٩٥ هـ وطبعات لاحقة).

٦ ـ تحقيق كتاب (الألفين) للعلّامة الحلّي وتعليقات طبعت على هوامشه (النجف ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٣م، قدّم له الشيخ أحمد الوائلي).

٧ ـ الشعار الحسيني (بغداد ١٣٤٧هـ).

٨ ـ الفرحة الإنسيّة في شرح النفحة القدسيّة (النجف ١٣٤٥هـ).

٩ ـ نماذج من شعره (النجف ١٣٧٦ هـ ـ ١٩٥٦م).

ب ـ آثاره المطبوعة بعد وفاته :

١٠ ـ مؤمن الطاق (أبو جعفر محمّد بن النعمان ـ النجف ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م).

١١ ـ الإسلام نشؤوه وارتقاؤه (النجف ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م).

١٢ ـ علم الإمام (النجف ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م) ترجم الى الفارسية.

جـ ـ آثاره غير المطبوعة :

١٣ ـ الشيعة وسلسلة عصورها.

١٤ ـ هشام بن الحكم .

١٥ ـ دعاء الصادق عليه السلام أو الصحيفة والصادقيّة.

١٦ ـ الآيات الثلاث (التطهير والولاء و...).

١٧ ـ الأوصياء.

١٨ ـ القرآن تعليمه وإرشاده.

١٩ ـ موجز حياة الرسول الأعظم ﷺ .

٢٠ ـ موجز علم الكلام .

٢١ ـ كتاب الصلاة من تذكرة المعلّمين في شرح تبصرة المتعلّمين.

٢٢ ـ دعوة النبيّ ﷺ والمكائد.

٢٣ ـ العترة أوصياء الرسول ﷺ (الأئمّة الاثنى عشر هم الأوصياء).

٢٤ ـ ديوان شعر.

د ـ مقالاته

يشير الشيخ جعفر محبوبة في كتابه ماضي النجف وحاضرها إلى أنّ للشيخ المظفّر مقالات ضافية في شتّى المواضيع، نشر كثير منها في المجلّات منها:

١ ـ نقد كلمة النشاشيبي عن اللغة العربيّة وكان فيها وخزات للشيعة منها إنكار نسبة نهج البلاغة إلى الأمير عليه السلام .

٢ ـ له كلمات لم تنشر[1] في الأخلاق مثل الحسد والحقد والعجب والتكبّر والبغض، ببيانٍ وافٍ.

٣ ـ وله مقالة في ـ ما فات القاموس من كلمات ذكرها في غير موضعها وأهملها في مادّتها».

٦ ـ الشيخ المظفّر إجازة الرواية

أشار المؤرّخ الشيخ آغا بزرك الطهراني في كتابه (أعلام الشيعة) إلى أنّ السيّد

---

(١) وجدت منشورة في مجلّة (الهدى) الشهريّة، مقالة متسلسلة في عشرة أجزاء ولها تكملة لم تنشر، صدرت عام (١٣٤٩هـ ـ ١٩٣١م).

عبد الحسين شرف الدِّين، صاحب كتاب (المراجعات) و (النصّ والاجتهاد) الشهيرين قد أجاز له الرواية كتباً عنه... وذلك بالإضافة إلى إجازة الرواية من قبل الشيخ المؤرِّخ نفسه[١].

٧ ـ الشيخ المظفّر وجمعيّة منتدى النشر

لا شكّ أنّ ممّا لا يجهله جمهور القرّاء المتتبّعون ما لجمعيّة منتدى النشر الدينيّة من دور كبير في النشاط الإسلامي والنهضة الدينيّة والفكريّة في النجف الأشرف، وكذا ما للفقيد الشيخ محمّد رضا المظفّر من دور كبير في تأسيس تلك الحركة الإصلاحيّة وصموده واستمراره بعد أن انفرط عقد المحيطين به، وكذلك تأسيس كلّية الفقه وما لها من دور في منهجيّة الدراسات الفقهيّة، (تلك المؤسّسة التي قامت على عاتقه، وأودعها حياته وشيّدها بحبات قلبه، وبذل في سبيلها جميع إمكانيّاته)[٢].

ولكن ما يجهله الكثير من القرّاء المعاصرين هو دور الفقيد الشيخ محمّد حسين المظفّر ـ المترجم له ـ في تلك الحركة الإصلاحيّة وفي تأسيس ونشاط جمعيّة منتدى النشر، حيث كان قد سبق أخاه الشيخ محمّد رضا ـ رحمه الله ـ بحوالى عقد من الزمان ومعه مجموعة من معاصرين في محاولة استحصال موافقة الجهات الرسميّة في بغداد على تشكيل جمعيّة منتدى النشر، فلم تحصل الموافقة حينها، وبعد أن نجح الشيخ محمّد رضا مع مجموعة من معاصريه في البداية في تأسيس الجمعيّة، كان للشيخ محمّد حسين دور كبير في ذلك في نشاطاتها واضح، ولعلّ ما ذكره

---

(١) أعلام الشيعة للشيخ آغا بزرك الطهراني.

(٢) من مقدّمة كتاب عقائد الإماميّة للشيخ محمّد رضا المظفّر.

المؤرِّخ الكبير الشيخ آغا بزرك في كتابه (أعلام الشيعة) دليل واضح على ذلك حيث يقول:

«وكان له فضل على لجنة المجمع الثقافي الديني لجمعيّة منتدى النشر التي أسّسها أخوه الشيخ محمّد رضا الآتي ذكره فقد ساهم في حفلاتها وكانت له محاضرات طيّبة وإرشادات وآراء مُصيبة في توجيهها والعناية بها»[١].

كما يقول الأستاذ علي الخاقاني في (شعراء الغري) بأنّ الشيخ المظفّر (شارك في تأسيس جمعيّة منتدى النشر) واصطدم بمن عارضها، وسهر الليالي في سبيل حراستها وتوجيهها، ولا يزال على هذه الذهنيّة من خدمة العلم والآداب بالأسلوب الذي يتمشّى مع العصر»[٢].

وكثير من مؤلّفاته تمثّل محاضرات ألقاها على الجمعيّة مثل كتاب (الشيعة الإماميّة) أو على طلّاب كلّية الفقه مثل كتاب (الإسلام نشؤوه وارتقاؤه) حيث كان محاضراً لمادّة التاريخ الإسلامي فيها.

٨ـ الشيخ المظفّر والشعر

كان الشيخ المظفّر يمارس النظم من حينٍ لآخر، وشعره متين ودقيق الديباجة، تلتقي فيه بصور شعريّة طريفة، وتجد فيه آفاقاً أدبيّة جديدة. وكان مُقلّاً في شعره لانصرافه عنه إلى عالم الفكر والتأليف، وقد شهد له كثيرين بذلك. يصفه الشيخ جعفر محبوبة في كتابه ماضي النجف وحاضرها بأنّه.. (من الأدباء وأهل النظم مقلّ في نظمه إذا اقتضت الظروف ومسّت له الحاجة، هو كاتب ناثر ونثره أقوى من نظمه،

---

(١) أعلام الشيعة للشيخ آغا بزرك.

(٢) شعراء الغري، الخاقاني: ج٨ ص١٩٣.

له لباقة لسان وطاقة وجه والياقته...)[١].

كما ورد في كتاب (شعراء النجف) لمؤلّفه الأُستاذ عبد الكريم الدجيلي، حيث قال: «لم يتّخذ الشعر منهةً له، ولم يستفرغ الوقت لتعاطيه، إنّما ينشط أحياناً لنظمه لبعض الدواعي والأغراض وهو في النثر أحسن منه في النظم»[٢].

أمّا هذا الابتعاد عن النظم والإقلال فيه فله أسباب قد تلخّصها حكاية يرويها بعض أفراد أُسرته صادفته في مقتبل عمره، حيث كان مقبلاً على أحد المجالس في النجف فاستسهله أحد أصدقائه مرحّباً وقائلاً: «أهلاً بالشيخ الشاعر»، فترك هذا النصّ في استقباله الأثر السلبي لديه، فالشيخ المظفّر جاد في اتّجاهاته الفكريّة ولا يؤثّر تلقيبه بالشاعر. ولعلّ هذه المعاناة كانت تمثّل ظاهرة واضحة في تلك الأيّام، وقد تناولها الكاتب الأديب الأُستاذ كاظم المظفّر ﷺ في مقدّمته للجزء الثاني عشر لكتاب شعراء الغري للأُستاذ علي الخاقاني بتوضيح شاقّ حيث يقول: «ونحبّ أن نشير هنا إلى أنّ طلّاب العلم في النجف، إذا برزوا في التحصيل الديني، تعفّفوا عن نظم الشعر وهم يظنّون أنّ الشعر منقصة للعلماء، ولذلك فإنّهم يعتزّون بالفقه، وينفرون من الشعر وعندهم أنّ الفقيه خيرٌ من الشاعر.

وكانت هذه الفكرة قديمة جدّاً، ترجع إلى زمن الشافعي الذي نسب له هذا البيت:

ولولا الشعر بالعلماء يزرى لكنت اليوم أفصحُ من لبيد

«وهذا ـ كما ترى ـ قد جمّد العديد من القرائح.الشعريّة الوقّادة وعطّل المزيد من المواهب الأدبيّة المختارة، كما منع أغلب الشعراء من التفوّق والتقدّم، لأنّ

---

(١) ماضي النجف وحاضرها، تأليف محبوبة: ج٣ ص٣٧٠.

(٢) شعراء النجف، تأليف الأُستاذ عبد الكريم الدجيلي، ص٢٥٠.

الاشتغال بالفقه والإمعان فيه يضعف مكلة الشعر ـ كما يقول ابن خلدون ـ حتّى لقد منع حفظ المتون ابن خلدون نفسه من إجادة الشعر، وقد روي عن فقيه أنّه تبحّر في الفقه، فأُصيب في الشعر، وقال:

لم أدرِ حين وقفت بأطلال ما الفرق بين جديدها والبالي؟

وقوله ما الفرق بين هذا وذاك تعبير فقهي أصيل لا يمتّ إلى الأسلوب الأدبي بصلة.

ومن أجل ذلك تلاحظ في الكثير من القصائد والمقاطع التي أثبتها الأستاذ الخاقاني في هذه الموسوعة جمعاً وافراً من الاصطلاحات الفقهيّة وتعابيرها الأصوليّة التي يتدارسها طلّاب العلم.

«وإذا بلغ هؤلاء الطلّاب المنزلة الفقهيّة الملحوظة عمدوا إلى آثارهم الأدبيّة فمزّقوها أو أحرقوها، وإذا ترفّقوا بها أبعدوها عن أعين الناس وتنصّلوا عن كلّ ما يُنسب إليهم من الشعر... ومن هنا يتبيّن العناء والجهد اللّذان لقيهما الخاقاني في تأليف هذه الموسوعة»[1].

إلى هنا ينتهي تعليق الأستاذ كاظم المظفّر وتحليله الشيّق.

ورغم أنّنا نرى أنّ الشيخ المظفّر لم يعمد إلى حرق أو تمزيق آثاره الأدبيّة ولم يبعدها أو يخفيها عن أعين الناس إلّا أنّنا نرى أنّه أقلّ في شعره واقتصر فيه على المناسبات الدينيّة وعلى أصدقائه المقرّبين وعلى النادر من المناسبات الخاصّة كرثاء صديق أو تهنئة بقران ومولود.

ومن شعره :

---

(١) شعراء الغري، علي الخاقاني: ج ١٢ ص١٣ و ١٤.

فـلا كـان ربّـي إن ظـمئت مـن اللـمى
اذا كـــنت مـمّا يـنها الفـضل ألا أروى
مـــــناي إذا يـــممت بـــيتك زائـــراً
وســـعيي إلى لُـقياك غـايتي القـصوى
لك الأدب المـــوفوو ويـــعلو مـــنادة
بـه يـهتدي السـادون إن خـبطوا عشـوا
تـميل نـوادي الفـضل إن ذكـرت بـها
قـــصدئدك الغـــرّا فـــتحسبها نشـوى
وتـنتظر نـادي الذكر حلواً فإن يـخض
بـــغيرك مـــمّا يـــجتني خـلته خـلوا
تـــــقدّم قـــوم فـــضلهم وزمـــانهم
تـــقدّمتهم شـــوطاً وإن جـــئتنا تـــلوا
أعـــــود إلى ذنب القـــطيعة مـــوقناً
بأنّك عـــنه ســـوف تـــمنحني العـفو
ولولا جـميل الصـفح مـا كـنت مـذنباً
ولا كـــنت لولاه عـــلى فـــعله أقـوى
وللـــصفح بـــعد الذنب بـــردٌ يـحسّه
مـقارف ذنب خـاف مـمّا جـنى البلوى
ولولاه مـــا أقـــرأتـني الشـعر حكـمة
يـــفاخر فـــي مـناله الحـضر والبـدوا
ومـا خـلت قـبل القـطع منّي ووصله
بأنّ مـــــرير الذنب يـــعقبني حـــلوا

وإن يـــعجبنك الصـــنع مـــنه تـفضّلاً
فـــهاتيك أخـــلاق الجـواد فـلا غـروا
فـــما زال أطـــلق الوجـه تـحسب أنّـه
عـــلى البشـــر بـادية لصـورته سـوى
وتـــقرأ مـــا فـــي قـــلبه مـن جـبينه
وبعضُ إذا أبـدى الرغـا أضـمر العسـوا[1]

والقصيدة التاليه له يرد ذكرها في شعراء الغري، ونشرت في مجلّة الهاتف، نذكرها نموذجاً رائعاً له نائياته حيث أسماها الشيخ المظفّر (دمعة صديق على جدث فقيد العلم والأدب العلّامة المرحوم السيّد مير علي أبو طبيخ)، وهذه مقتطفات منها:

يـــا ســلوة الخـلّان والأحـباب ... فـيمَ السلو وفيك كان مصابي
دمتُ الرثـاء فسابقته مدامعي ... فـــمزجـــنه بـــالمدمع السكّـابِ
وأمضى شيء في مصابك زادني ... شجواً ولا ينسى مدى الأحقابِ
إن تســـتقلّ ولا أكـون مـودّعاً ... لك يـا أخـي وداع خـلٍّ نـابي

ثمّ يقول:

لو كـــنت أعـــلم أن يـــعالجك الردى
لأقـــمت حـــول فـــناك كـــالبوّابِ
فـــعساك تـــمنحني الزيـــارة راحـــماً
شـــجو المـــقيم غـداة تـنظر مـا بـي

---

(١) المصدر نفسه: ص١٩٢، ٢١٩، ٢١٨، ٢٠١، ٢٠٠، ١٩٥.

عـــــاجلتنا قـــبل الســـرى بـــقطيعةٍ

مـــا القـــطع دأبُك كـــان أو مـــن دابـــي

وبـــــخلت بـــــاللُّقيا وأنت مـــنزّهٌ

عـــن كـــلّ شـــينٍ بـــالخصال وعـــاب

عـــتبي عـــليك وقـــد قـــطعت وهـــل تـــرى

يـــجدي عـــليك اليـــوم فـــرط عـــتابي

يـــــا خـــــاطباً ودّي ومـــلتذّاً بـــها

قـــــارضته نـــظماً ونشـــر خـــطاب

أتـــراك تـــمنعني الجـــواب مـــخاطباً

ولقـــد عـــهدتك مســـرعاً لجـــوابـــي

أرفـــقت والإرفـــاق مـــنك ســـجيّةً

أن لا نـــــراك فـــــريسة الأوصـــابِ

علم الإمام

كتاب وجيز يبحث عن علم الإمام وكميّته وكيفيتا عن
طريقي العقل والنقل

للعلّامة الشيخ محمّد الحسين المظفّر قدس سره
المتوفّى سنة ١٣٨١هـ = ١٩٦١م

تحقيق و تعليق:
أحمد بن كاظم البغدادي

مقدّمة المؤلّف

باعث التأليف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اصطفى محمّداً بالرسالة واختاره للدلالة، وارتضى عترته الطاهرة للإمامة، وخصّهم بالزعامة والكرامة، وحباهم من الفضائل ما يقصر عن شأوه الأواخر والأوائل، وميزهم بالعلم الذي استمدّ من ينبوع فيضه؛ فعجزت الأفكار عن إدارك مدى تلك المنحة، وحد ذلك الفيض. والصلاة والسلام على تلك الصفوة المنتقات من بريّته، محمّد والأئمّة الهُداة من عترته.

وبعد، فقد سبق أن كتبت[1] عن الإمام الصادق عليه السلام كتاباً جمّ العناوين وكان

---

(١) كتاب يدرس حياة أبي عبدالله جعفر الصادق عليه السلام (٨٢ـ١٤٨هـ) بصورة موجزة يشتمل على كثير من أُمور حياته سلام الله عليه من مدرسته العلميّة وتعاليمه ومناظراته وخطبه وأقواله ورواته من الخاصّة والعامّة، وقد طبع في النجف، وأعادت ←

منها عنوان في عامّة، وأنّ السابقين من أجلّه العلماء، الذين كتبوا عنه عليه السلام، يذكرون في باب علمه النوادر من الأجوبة البديعة والنكات الغامضة في الفقه وغيره، وإنّما هي بأجوبة عالم فطن أشبه، وأين هذا من علم الإمام؟

ولمّا كنت لا أرى ذلك شيئاً ذا بال من الإمام، الذي استمدّ فرات علمه من منبع الرسالة، المستمدّ من علم العلّام جلّ شأنه، ولمّا كنت وأمثالي نجهل حقيقة الرسالة والإمامة، ولا نعرف إلّا شيئاً منهما بالأثر الخالد من العلم الغمر والفضائل المعجزة، اقتصرت في ذلك الباب على الإشارة إلى علومه المنسوبة إليه، دون أن أحدِّد علمه، لقصوري عن الوصول إلى غور ذلك العلم والإحاطة بكنهه. ولمّا كان هذا غير وافٍ بالقصد، لفتني بعض من يعز عليّ من أفاضل الإخوان إلى تحرير رسالة في علم الإمام وكان هذا التنبيه منه تفضّلاً.

وإنّي لعلى علمٍ بأنّ هذا البحر لا يبلغ فكري قعره، ولا يصل فهمي إلى شاطئه ولو عرفنا قدر علم الإمام لعرفنا حقيقته ومبلغ صفاته. ولو اهتدينا إلى كنهه، لوصلنا إلى معرفة من جعل الإمامة بتلك الوسامة، ورفعها إلى سمك لا نبصره ولا نصل ـ ولو بجناح العقاب ـ إلى سمائه.

ولمّا كان هذا الجهل لقصور في المَلَكة والإدارك، فلا يحُول دون التفكير في مبلغ ذلك البحر العجاج، والخوض فيه بقدر ما تصل إليه حواسنا من معرفته بالآثار، ودون التحرير لما تهتدي إليه أفكارنا القاصرة، وإلّا لسقط التكليف في معرفة الإمامة وتشخيص الإمام، بل وعرفان الرسالة من تقمّص بأبرادها، بل ومن نصب ذلك العلم للإهتداء والمنار للدلالة.

← طبعة بصفّ جديد مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين في الحوزة العلميّة ـ قم، ١٤٠٩هـ.

ولا غرو ولو كنت القاصر عن بلوغ الغاية، والمتعثّر في هذا الفجاج لبعد المقصد وطول الشقة، ولا أجدني عند الفكرة في ذلك العلم أو من اتّصف به من تلك العصابة الزاكية إلّا كراكب في زورق وسط بحر متلاطم الموج، لا تبلغ الرشا عمقه، ولا ترى العين ساحله.

راجياً منه جل شأنه، وبمن خصهم بتلك المزايا السامية والهبات الجليلة، أن يمدّ لي يدَ الرحمة، لينقذني من تلك اللجج المتلاطمة، وأنا على هدىً وسبيل نجاة، إذ ليست ضالّتي المنشودة إلّا خدمة الأئمّة من أهل البيت، وطلب مراضيه تعالى فيهم.

محمّد الحسين المظفّر

مقدّمات أمام البحث

١ـ إنَّ المراد بالإمام ها هنا[١]: هو الحجّة على العباد[٢]، ومن وجبت معرفته[٣]

---

(١) أي الامام عند المتكلمين، والامام في مصطلح المتكلمين هو: القائد العام للمسلمين الذي يخلف النبي صلى الله عليه وآله في كلّ أو بعض ما يمتُّ له بصلة.

(٢) عن محمّد بن عيسى، عن صفوان بن يحيى، عن أبي الحسن الأوّل ـ يعني موسى بن جعفر عليه السلام ـ قال: ما ترك الله عزّ وجلّ الأرض بغير إمام قط منذ قبض آدم عليه السلام يهتدي به إلى الله عزّ وجلّ وهو الحجّة على العباد من تركه ضلّ ومن لزمه نجا حقّاً على الله عزّ وجلّ.

(كمال الدِّين وتمام النعمة: ٢٢، باب اتّصال الوصيّة من لدن آدم عليه السلام؛ معجم أحاديث المهدي: ح١٢٠٨).

(٣) محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن الحسن بن محبوب، عن هشام بن سالم، عن زرارة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أخبرني عن معرفة الإمام منكم واجبة على جميع الخلف؟ فقال: إنّ الله عزّ وجلّ بعث محمّداً صلى الله عليه وآله إلى الناس أجمعين رسولاً وحجة الله على جميع خلقه في أرضه فمن امن بالله وبمحمّد رسول الله صلى الله عليه وآله واتّبعه وصدّقه فإنّ معرفة الإمام من واجبه عليه ومن لم يؤمن بالله وبرسوله ولم يتبعة ولم يصدقه ويعرف حقهما؟ قال: قلت: فما تقول فيمن يؤمن بالله ورسوله ويصدق رسوله في جميع ما انزل الله يجب على أولئك حق معرفتكم؟ قال: نعم أليس هو لا يعرفون فلاناً وفلاناً؟ قلت: بلى، قال: أترى ان الله هو الذي أوقع في قلوبهم معرفة هؤلاء؟ والله ما أوقع ذلك في قلوبهم إلّا الشيطان لا والله ما ألهم المؤمنين حقّنا إلّا الله عزّ وجلّ.

(أُصول الكافي، كتاب الحجّة، باب معرفة الإمام والرد إليه، ح٣).

وطاعته[١]، وحرم جهله وعصيانه. وكانت ميتة الجاهل به ميتة جاهليّة[٢]، وهم: علي وأولاده الأحد عشر من الحسن إلى أبن الحسن الغائب المنتظر، عليهم من الله تعالى أزكى التحيّة وأفضل السلام[٣].

---

(١) وبهذا الاسناد عن معلى بن محمّد عن الحسن بن علي قال: حدّثنا حمّاد بن عثمان، عن بشير العطّار، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: نحن قوم فرض الله طاعتنا وأنتم تأتمّون بمَن لا يعزر الناس بجهالته.

(أُصول الكافي، كتاب الحجّة، باب فرض طاعة الأئمّة، ح٣).

(٢) ولا يخفى أنّ المصنّف أراد الاستشهاد بمعنى الرواية دون لفظها وألفظها أحمد بن إدريس، عن محمّد بن عبد الجبّار عن صفوان عن الفضيل عن الحارث بن المغيرة قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من مات لا يعرف إمامه، مات ميتةً جاهليّة»؟ قال: نعم، قلت: جاهليّة جهلاً أو جاهليّة لا يعرف إمامة؟ قال: جاهليّة كفر ونفاق وظلال.

(أُصول الكافي، كتاب الحجّة، باب من مات وليس له إمام من أئمّة الهدى، وهو من الباب الأوّل، ح٣).

(٣) محمّد بن يحيى، عن محمّد بن أحمد، عن محمّد بن الحسين، عن أبي سعيد العصفوري، عن عمر (و) بن ثابت، عن أبي حمزة قال: «سمعت عليّ بن الحسين عليهما السلام يقول: إنّ الله خلق محمداً وعليّاً وأحد عشر من ولده من نور عظمته فأقامهم أشباحاً في ضياء نور يعبدونه قبل خلق الخلق، يسبّحون الله ويقدّسونه وهم الأئمّة عليهم السلام من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله».

أُصول الكافي، كتاب الحجّة، ما جاء في الاثنى عشر والنصّ عليهم عليهم السلام، ح٦؛ الأُصول الستّة عشر، ص١٤.

أمّا الأنبياء السابقون، فليسوا الآن من محلّ الإبتلاء لنا لندخل في البحث. وأمّا نبيّنا الأكرم ﷺ، فإنّه يشمله البحث لكونه إماماً أيضاً. وسنشير إلى علمه قبل البحث في علم أوصيائه.

٢ـ إنَّ المراد من العلم الحضوري أو الإرادي والإشائي، هو: ماكان موهوباً من العلّام سبحانه، ومستفاضاً منه بطريق الإلهام، أو النقر في الأسماع، أو التعليم من الرسول، أو غير ذلك من الأسباب. وهذا العلم اختصَّ به الإمام دون غيره من الأنام[١].

وليس المراد من العلم ها هنا ما حصل بالكسب[٢] من الإمارات والحواس الظاهريّة والصنائع الاكتسابيّة، لاشتراك الناس مع الإمام في هذا العلم، لأنّه تابع لأسبابه الاعتياديّة، وهذا لا يختصّ بأحد. وهو بخلاف الأوّل، إذ لا يمنحه علّام الغيوب إلّا لمَن أراد واصطفى.

٣ـ إنَّ علم الله تبارك[٣] اسمه قديم وسابق على المعلومات، وهو عين ذاته وعلّة للمعلومات. وأمّا علم الإمام الحضوري، فلا يشارك علم الله سبحانه في شيء

---

(١) العلم الحضوري هو (حضور نفس المعلوم لدى العالم) فإنّ الواحد منّا يجد من نفسه أنّه يعلم بنفسه وشؤونها ويدركها حقّ الإدراك ولكن لا بانتقاش صورها وإنّما الشيء الموجود وهو حاضر لذاته دائماً بنفس وجوده. أن العلم الحضوري غير قابل للخطأ باعتبارأن المعلوم يكون حاضراً بوجوده العيني لدى النفس، فلا يعقل حينئذ خطأ النفس فيه كيف هو حاضر عندها.

(٢) يُعرف العلم الحصولي هو (حضور صورة المعلوم لدى العلم) كعلمنا بالموجودات بعد وجودها فتكون الموجودات بمنزلة الفاعل و علمنا بها بمنزلة المنفعل.

(٣) بيان الفارق بين علم الله تعالى و علم الإمام المعصوم.

من ذلك، لأنّه حادث ومسبوق بالمعلومات وهو غير الذات فيهم، وليس بعلّة للمعلومات. وإنّما حضوره عندهم بمعنى انكشاف المعلومات لديهم فعلاً.

فلا ينبغي أن يتوهّم ذو بصيرة بأنّهم مشاركون له تعالى في هذه الصفة وأنّ القول بالحضوري من الشرك أو الغلو، لاختلاف العلمين في الصفة.

على أنّ علمه تعالى ذاتي، وعلمهم عرضي موهوب وممنوح منه جلّ شأنه. فلم يبق مجال لدعوى اتّحاد العلمين بتاتاً.

٤ـ إنّ المراد من العلم في المقام هو العلم في الموضوعات الخارجيّة الجزئيّة الصِّرفة، لا العلم في الموضوعات للأحكام الكلّية. لأنّ جهل الإمام بها نقص في رتبته وحطّ من منزلته، وإنّ بيانها من خصائصه ووظيفته، ولا العلم في الأحكام، لأنّ الإمام لابدّ وأن يكون علمه فيها حضورياً إذ لا يجوز أن يسئل عن حكم لم يكن علمه لديه حاضراً، وإلّا لم يكن الحجّة على العباد، بل ولبطلت إمامته.

٥ـ إنّ الكلام في علم الإمام يشمل العلم بالساعة والآجال والمنايا وغيرها ممّا ظاهره استئثاره به تعالى، والتي يجمعها قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾[1]، لأنّ النصوص الخاصّة صريحة في أنّ الله تعالى أطلعهم على هذا العلم، بل وبعض الآيات الكريمة مثل قوله تعالى: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[2] وبها نرفع اليد عن ظواهر الآيات، والروايات التي دلّت على اختصاصه تعالى بها دون خلقه؛ أو يحمل الاختصاص على العلم الذاتي دون العرضي.

---

(١) سورة لقمان: الآية ٣٤.

(٢) سورة الجنّ: ٢٦ـ ٢٧.

علم النّبي ﷺ

قبل أن نبسط الكلام في علم الإمام، نسطر كلمة موجزة في علم الرسول ﷺ. لأنّ علم الرسول هو المنبع وعنه الصدور.

إنّ النّبي ﷺ بُعِثَ للعالم أجمع، وللخليفة التي على كرة المعمورة كافّة، وما كانت شريعته لتعمّ البشر على اختلاف الألسنة، وتباين الطباع وتغاير الألوان، وتشاسع البلدان، إلّا وهي صالحة لأن يكون نظامها العام الذي تنضوي تحت لوائه، والذي يوافق كل قطر، ويلائم كلّ جيل، ويجتمع مع كلّ لسان، من دون أن يكون لقطر أو جيل أو لسان ميزة على عداه ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1] وليس لأخ فضل على أخيه، وإنّما هم سواء في ذلك النظام العامّ. نعم، إنّما أقربهم إلى خالق السماء وبارئ النسيم منزلة، أطوعهم لامتثال أوامره، والانتهاء عن زواجره ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[2] و ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾[3].

وما كان ذلك الرسول مبعوثاً بتلك الرسالة العامّة للبشر: أبيضهم وأسودهم، شريفهم ووضيعهم، قريبهم وبعيدهم. من دون أن يكون القدير على تمشية ذلك النظام أو تطبيقه على الجميع، وتنفيذه فيهم كافّة، بغير محاباة ولا مجاملة، أو ميل لأحد على أحد، فيكون الكلّ لديه في الحق سواء، ولا تأخذه في الله لومة لائم. ولا فرق عنده في القيام بهذه المسؤوليّة العظمى والعب الرازح، بين أن تكون دعوته قد

---

(١) سورة الحجرات: ١٠.

(٢) سورة الحجرات: ١٣.

(٣) سورة الأنفال: ٣٤.

عمّت البشر أجمع، وهيمنت على الكرة كلّها، أو تكون مقصورة على إقليم خاصّ. ولو لم تكن له تلك الكفاءة والمقدرة، لما صلحت شريعته لأن تجمع العالم بأسره تحت نظامها البديع وقانونها الباهر.

إنَّ الهيمنة على الكرة بأسرها، وتعميم الشريعة للعالم أجمع، يتطلّبان الكفاءة والمقدرة اللتين لا تكونان في العادة لبشر مهما كان له من العلم والقدرة، وقوّة الفكر والمزاج، واعتدال الطبائع.

إنَّ الرسالة إصلاح للبشر وتسوية في الحقوق وعدل في الأُمّة ومن يرتدي هذه الحلّة السماويّة فلا يعدو أن يكون أهلاً للنهوض بهذه الأعباء الباهضة، وكيف يتبعث الله إنساناً بذلك العبء الثقيل، ولا يجعل فيه تلك القوى الجسيمة.

فلو كانت له السيطرة على أقصى البلاد التي لا تصل رسله إليها إلّا بالشهور أو السنين، ولا تصل صرختهم إليه من ولاته ودعاته وجباته إلّا بذلك الزمن البعيد، فكيف يكون عدله شاملاً وأمنه مستتباً، وفي يوم فيه عامله جائر وجابيه خائف وقاضيه ظالم، ولا تصله أخبارهم إليه ولا نجدته لهم ولا رفع الظلم عنهم والإنتصاف لهم من أولئك الخونة الجائرين إلّا بعد إعلامه بالشأن، وإيقافه على الحال، وهو يتطلّب ذلك الأمد الأبعد.

نعم، لابدّ وأن يكون لصاحب هذه الدعوة وتلك السيطرة، من العلم من لدن العلام جلّ وعلا، ما يحيط بالجليل والحقير والكبير والصغير، فيما تأتي به الحوادث في تلك البلاد قربت أو بعدت، ليتسنّى له أن يتدارك الحيف ويرفع الظلم وينتقم من أهل العدوان، عند أوّل زمن. ولولا هذا العلم المحيط، وتلك القدرة على التنفيذ، لكانت الرسالة ناقصة والإصلاح والعدل غير شاملين. فعلم الرسول بالعالم، وإحاطته بما يحدث فيه. وقدرته على تعميم الإصلاح للداني والقاص والحاضر والباد. من أسس تلك الرسالة العامّة، وقاعدة لزوميّة لتطبيق تلك الشريعة الشاملة.

غير أنَّ الظروف لم تسمح لصاحب هذه الرسالة أن يظهر للأمّة تلك القوى القدسيّة. والعلم الرباني الفياض. وكيف يعلن بتلك المواهب والإسلام غض جديد. والناس لم تتعرّف تعاليم الإسلام الفرعيّة بعد...؟ فكيف تقبل أن يتظاهر بتلك الموهبة العظمى، وتطمئن إلى الإيمان بذلك العلم؟ على أن سلطته ما اجتازت الجزيرة، وشريعته لم تهيمن على العرب كافّة. دون سواهم من الأمم. بل ولم يكن كلّ قومه الذين انضووا تحت لوائه من ذوي الإيمان الراسخ. وما خضع البعض منهم للسلطة النبويّة إلّا بعد اللّتيا والتي وبعد الترهيب والترغيب. بل وكان البعض منهم يبطن الكفر ويظهر الإسلام رهبة أو رغبة ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾[1] إلى غير هؤلاء ممّن لم يعرف منزلة النبوّة ولا يقوى على عرفانها. فكيف والحال كما وصفنا. يتسنّى له العمل بكلّ ما أُوتي من ميزة ولطف. ويقدر على إظهار كلّ موهبة.

وظيفة الخليفة

لمّا تجلّى لديك أنَّ الرسول لابدّ وأن يتحلّى بتلك الصفات السامية والمواهب الإلهيّة. من العلم والقوى العالية. اللّذين يؤهّلانه لأن يكون صاحب السلطتين الزمنيّة والروحيّة على الأرض كلّها، وأن يكون إصلاحه وعدله مخيِّمين على البسيطة أجمع، مسيِّراً لشؤون العالم. من دون أن يعاني التعب في البعيد دون القريب، والجهد في القاصي دون الداني بل هو في ذلك كله على نهج واحد. وأنّ أمد الرسول منقضٍ مهما طال. وجب أن يكون له خليفة ينهض بجمع الناس، وتسييرهم تحت لواء واحد. وتطبيق نظام الشريعة عليهم، وقيامه بما قام به الرسول من إفشاء العدل

---

(١) سورة التوبة: ١٠١.

والإصلاح. واستتباب الأمن.

فالخلافة وظيفة تنوب عن الرسالة وتنهض بعبئها الباهض. سوى مقام النبوّة والتشريع، ولو لم يكن للخليفة تلك الملكة السامية القدسيّة السماويّة، من العلم بما يحدث في العالم، ليسير بها على سنن العدل ومناهج الإصلاح، ومن القوى النفسيّة التي يستطيع بها على تمشية ذلك النظام الإلهي من دون مللٍ أو كلل. أو سأم وبرم، أو ميل لقريب وحبيب أو ميل على بعيد وغريب، لما حصل الغرض الأقصى من لطف[1] الرسالة، ولذهبت الدعوة النبويّة أدراج الرياح، فإن ما جاء به الرسول عن الجليل تعالى من الأحكام، وتطبيقها على المجتمع البشري لم يكن مقصوراً على زمن الرسالة وأهل أوانها فحسب، بل هو عام لكلّ قوم وجيل وزمان ومكان ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[2] فتطبيق ما صدع به الرسول بعد عصر الرسالة يحتاج إلى ذلك الخبير في كل وقت وحين بتلك الأحكام كما أنزلت؛ وبذلك النظام كما صدع به، وبما يحدث في العالم، كما كان عليه الرسول، لتعميم العدل والأمن، وتنفيذ أحكام الشريعة، وذلك الخبير هو الهاد بعد المنذر، من دون فصل، ومن دون استثناء زمن، ولولا ذلك الخبير الهاد ـ إذا أطيع ـ لدخلت الأهواء الباطلة والآراء الضالّة، في تلك الأحكام وذلك النظام، فتصبح الأمّة مذاهب وشيعاً. وأحزاباً وفرقاً.

وهل وقعت في هذه الحبائل إلّا حين صفحت عن ذلك الطَّبن بأُمور الدّنيا والدِّين، وصافحت من هو في أمس الحاجة إلى الإرشاد والاصلاح وإقالة العثرات ﴿أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾[3].

---

(١) اللطف هو مايكون المكلّف معه أقرب الى فعل الطاعة وأبعد من فعل المعصية ولم يكن له حَظ في التمكين ولم يبلغ حد الالجاء. انظر كشف المراد.

(٢) سورة الرعد: ٧.

(٣) سورة يونس: ٣٥.

وخلاصة الكلام: أنّ الخلافة تسيير لنظام الرسالة. ونهوض بعبئها من كافّة الجهات، حذو القذة بالقذة، إلّا ما كان من الوحي ومقام الرسالة الخاصّ.

ولو لم يكن في الأُمّة من يقوم بهذه المهمة العظمى، لذهب فضل الرسالة، ولم يعرف شأوها الرفيع، ولخابت تلك الجهود الكبيرة من صاحب الرسالة، لقصور الأُمّة عن عرفان تلك السنن، وتمشيتها على الوجه الأكمل.

وهل أحد غير ذلك الخليفة خبير بالشريعة الحقّة وقدير على تغذيتها؛ كما شاء الشارع وأراد الصادع...؟ وهل أحد سواه يقوى على قمع الباطل وقطع حجج ذوي الضلال...؟

الخلافة وأهل البيت عليهم السلام

لم نقصد بما سلف إثبات الخلافة لأهل البيت ونفيها عن غيرهم، وإنّما أردنا البرهان على ما يجب أن يتّصف به الخليفة، فلو استلزم هذا البيان حصرها فيهم، فليس مقصوراً بالأهل ومنظوراً بالبحث.

إنَّ إمامة أهل البيت معتقد فرقة إسلاميّة، ذات العدة والعدد والعلم والعمل. ولها في هذا الميدان الحلبة الواسعة والحجج القويمة، من لدن أن وجدت الإمامة والخلافة حتّى هذه الساعة.

ومهما كان الأمر، فإنَّ الخليفة ـ كما قلنا ـ لابدّ وأن يتقمص بتلك الخلال الكريمة من العلم الذي لا يحصل في العادة بالكسب والتعلم؛ ومن القوى التي لا توجد عادة في إنسان قط وإن أمكن عقلاً، وإنّما هو من الفيوضات الربّانيّة والمواهب السماويّة.

ومن لم تكن فيه تلك المنح، فلا يقدر على تأدية ذلك الواجب.

وإن صفح الناس عمن اتصف بتلك السمات لا يمسّ بكرامته، ولا يغضّ من مقامه، بل يعود وباله على من أعرض عنه. لأنه إنّما أعرض عن حظه من العدل والصلاح والهداية والفلاح.

علم الإمام الحضوري

من طرق العقل

الطريق الأوّل:

الحضوري أنفع للأمة

لقد قامت الحجج النيّرة والبراهين العقليّة، على أن الرسول لابدّ له من خليفة يجمع شمل الأُمّة، لئلّا تتفرّق عن الحق، بعد اجتماعها عليه. وهل يجمع شملها إلّا ذلك القائم مقام الرسول؟

كما دلت تلك البراهين على أنّ الخليفة لابدّ وأن يتحلّى بالصفات التي تؤهّله لأن يقوم مقام صاحب الرسالة، لئلّا يعجز عن إدارة شؤون الأُمّة، وعن دحض مزاعم أهل الأهواء الفاسدة، والعقائد الباطلة، بالبراهين القاطعة والحجج الحقّة. فإن عجز عادت الأُمّة شيعاً وشعباً، وملالاً ونحلاً.

وكما دلت على أن يكون له من العلم، بمقدار ما يمكن أن يمتد إليه سلطانه، ويهيمن عليه نظام الشريعة. ولا يمكن أن يخيِّم العدل والإصلاح والأمن، وذلك النظام على كرة الأرض ما لم يكن لذلك القائم بالأمر علم بما يحدث في هاتيك البقاع والأصقاع.

ولابدّ أن يكون علمه بالحوادث: كعلمه في سائر الفنون والأديان والمعارف والأحكام. وكيف لا يكون بهذه الصفة وهو الحجّة على العالم، والمؤدّي عن صاحب الدعوة، والقائم بوظيفته.

ولو كان جاهلاً ببعض تلك الشؤون، أو كلّها، لما صلح لأن يؤدّي عن الرسول،

يقوم مقامه، ويكون حجّة الله على العالم، الذي يحتجّ به على أهل الملل والأديان، وذوي الأهواء والآراء، والأضاليل والأباطيل وكيف يحتجّ الله على عباده بذوي الجهل، ومن لا فقه له، ولا علم لديه؟ وإن سئل عن شيء صمت، أو نطق أعرب بقوله عن جهله.

وجملة القول أنّ الإمامة ضرورية للأمّة، وأنّ الإمام لابدّ له من ذلك العلم الزاخر المستمدّ من ينبوع علم العلام تعالى.

ولو لم يكن في الامّة إمام على هذه الصفة، لما قامت لله الحجّة البالغة على خلقه بعد الرسول، إذ لا تقوم الحجّة بذوي الجهل.

فإن كان أهل البيت هم الأئمّة حقّاً والخلفاء صدقاً، فلابدّ أن يكونوا علماء بكلّ شيء علماً حضورياً مما كان ويكون وما هو كائن، وفي كلّ فنّ وحكم وأمر. فلا يجوز أن يسأل الإمام عن شيء مهما كان، ولا يكون عنده علمه، ولا يحدث شيء وهو غير خبير به، لتكون لله تعالى به الحجّة البالغة على خلقه، كما كانت لصاحب الرسالة.

ولولا الإمام لانقطع أثر الرسالة العظيم، ولم تلمس الناس جدواها الجليلة في العاجل والآجل. إلى غير هذا مما يستلزم إضعاف شأن الرسالة وعدم سراية نفعها.

وإذا أبت الظروف أن تسمح لذلك الإمام باظهار ما أودعه العلام سبحانه عنده من جليل علمه، وأسرار حكمه. فلا يكون معنى ذاك أنّه ليس لديه هذا العلم، والوجدان خير مرشد إلى هذا الوجود، لظهوره أحياناً على أفعال ذلك الإمام وأقواله، ومحاوراته ومناظراته.

وإذا أضاعت الناس تلك المنفعة الجليلة من مخزون علم الإمام، وصالح إرشاده وجميل إصلاحه، بإعراضهم عنه وإقبالهم على سواه. فلا يكون معنى ذلك أنّه لا فائدة مهمّة بعلمه، لأن الفائدة الجليلة إنّما ضاعت بما اختاره الناس لأنفسهم.

فإنّ من يضع على عينه غشاوة لئلّا يبصر القمر ونوره، فلا يعدم ذلك نور القمر، وإنّما يعدم الإنتفاع بذلك النور بسوء ما اختار. ولولا هذه الإضاعة وتلك الغشاوة، للمسوا تلك الجدوى، ولاهتدوا بذلك النور.

نعم! لو كان الإمام صاحب السيف والصولجان، وكانت الوسادة مثنية له، لظهر علمه ناصعاً، تبصره كلّ عين، وتلمس آثاره كل يد. ولم يملك من أئمّة أهل البيت عليهم السلام أزمة الأمور إلّا أميرالمؤمنين عليه السلام أربع سنين وأشهراً. وأنت تعلم كيف لاقى من الأمّة من النزاع والصراع والقراع. ومع ذلك فقد ظهرت له في هذه المدة الوجيزة من الفضائل والعلوم ما ملأ الخافقين. وهي وإن كانت غيضاً من فيض، إلّا أنّها أدهشت العقول وأحارت الألباب، حتّى دعت بعض الضعفاء في البصائر إلى الغلوّ فيه ورفعه عن مستوى البشر إلى منزلة الألوهية. فكيف تراهم لو أبدى جميع المكنون من علمه، والمخزون من حكمه وحكمه.

الطريق الثاني:

الحضوري أكمل في الرسالة والإمامة

إنّ الأكمل في الرسالة والإمامة أن تكون الصفات في الرسول والإمام أتمّ الصفات، ولا تكون أتمّها ما لم يكن علمه حضورياً غير معلق على الإشاءة والإرادة، لأنّ العلم المعلّق على الإشاءة كمال لا أكمل، وفضيلة لا أفضل.

الطريق الثالث:

الحضوري أسبغ في النعمة

إنّ إرسال الرسل والأنبياء، وإقامة الأئمّة والأوصياء، من النعم التي أسبغها المولى تعالى على عبيده، والتي يجب أن يشكرها العباد دوماً، معترفين بفضلها

مقرّين بجزيلها. وهل الأجود في هذه النعم التي منّ بها اللطيف سبحانه على عبادة أن تكون على أتمّ حاله وأكمل صنعه وأحسن صبغته، مع قدرته جلّ شأنه على هذه الأتمّية، وعدم المانع عن إيجادها على الصفة الأكمليّة والصبغة الأحسنيّة. أو تكون على صفة التمام والكمال لا الأتمّية والأكمليّة.

لا يرتاب العقل في أنّه من كمال المنّة في أن تكون النعمة أسبغ، والصفة أفضل والصبغة أحسن، كما لا يشكّ في أنّ العلم الحضوري هو الأسبغ في النعمة، والأكمل في الصنعة. والأفضل في الصفة، مع قابليّة المحلّ والحاجة إليه.

الطريق الرابع:

الحضوري أتمّ في القدرة

لا يشكّ العقل في أنّ الله جلّت قدرته قادر على أن يجعل رسوله المصطفى وأوصياءه الأصفياء، على أكمل صنعة وأزكى نقيبة وأنفس صفة كما لا يرتاب في أنّ جعلهم على ذلك الكمال الأرفع والفضل الأسمى لا مانع يحجز دونه ولا حائل يقف أمامه.

فلأيّ شيء إذاً لا يجري الله سبحانه قدرته في صفوته من بريّته على ذلك الصنع الأكمل والشأن الأفضل. حين لا مانع عن أجراء تلك القدرة الفضلي.

الطريق الخامس:

الحضوري أكمل في اللطف

إنّ إرسال الرسل، وجعل الحجج، وإقامة البيّنات؛ لطف منه جلّ شأنه. وهل الأكمل في اللطف أن يكون على أجمل صورة، وأفضل صنعة وأكمل تركيب، أو أن يكون على وجه يحصل به اللطف من الجمال في الصورة، والكمال في التركيب،

والفضل في الصنعة، والحجّة في الدلالة غير أنه على غير الأعلى والأسمى، والأتم في الحجّة، والأكمل في الدلالة لا يشك العقل في أنّ اللطيف جلّ لطفه إنّما يجري نعمه وألطافه، وحججه وآياته على الأتمّ الأرفع، الأجمل الأسبغ.

والعقل، وإن لم يصل إلى جميع المصالح والحكم التي بنى عليها الحكيم تعالى أفعاله وصنائعه، إلّا أنّه على يقين لحسن الظنّ به سبحانه بأنّه جلّ شأنه قد بنى سائر أعماله على الحكمة والصلاح، وأنّ الأسب بحكمته مع سعة قدرته أن تكون مصنوعاته وصنايعه على الوجه الأكمل وبيناته وآياته على النحو الأتمّ، وبنيانه على الأمتن الأقوى.

الطريق السادس:

الأولى في الإمام اختيار الأفضل

إنّ النفس ـ ولا سيّما الحسّاسة ـ التي نقت من دون الفضائل، وتحلّت بجميل الفضائل والتي تستطيع بتلك الملكة القدسيّة أن تغتنم كل فضيلة، لا ريب في أنّها تطمح إلى أفضل السِّمات وأشرف الصفات. ولأي شيء لا تختار تلك المنزلة العليا والصفة الفضلى إذا كان لها الإختيار، ولم يكن ثمة حائل دون ما تختار، ولو لم تختر هاتيك الرتبة السامية لاعتقدنا بأن هناك قصوراً في الإدراك وضعفاً في الحسّ، وأنّها ليست كما يعتقد بها من ذلك السموّ والتجرّد والقدرة والاختيار.

ولا ريب في أنّ الحضوري أفضل من الإرادي. وإذا كان اختيار الأوّل راجعاً إلى الرسول أو الإمام نفسه. فلم لا يختار الأكمل، ويريد الأفضل. وأي نفس قدسيّة وملكة فردوسية، لا تختار الأسمى محلاً والأعلى رتبة.

الطريق السابع:

الحضوري أبلغ في المثاليّة

إنَّ صفات الرسول وأوصيائه مثال لصفات الجليل تبارك اسمه ولا شبهة في أنَّ الأبلغ في المثاليّة أن تكون صفاتهم أكمل الصفات، وخصالهم أفضل الخصال فالعلم الحضوري هو الأولى. لأنَّه الأبلغ في المثاليّة.

وأمّا أنَّ صفاتهم مثل لصفات الخالق تعالى، فهو ما يشهد له العقل والنقل.

أمّا النقل فكثير، ومنه قول أميرالمؤمنين علي عليه السلام: **«نحن صنائع الله؛ والناس بعد صنائع لنا»**[1]. وتحليله أن يقال: إنَّ الله تعالى شأنه لمّا أحبّ أن يُعرف خلق الخلق ليعرف[2]، ولما أحس البشر أنّ لهم خالقاً خلقهم، ومصوِّراً أوجدهم، أرادوا أن يعرفوه وكيف بعد أن أوصلهم الحسّ إلى وجود الخالق لهم لا تندفع نفوسهم إلى عرفانه. والمعرفة أساس الاتّصال بين الخالق والمخلوق.

فكان ظهوره جلّ وعزّ أكشف للسر وأجلى للغشاء. ولما استحال ظهوره تعالى بنفسه لزم أن يظهر لعباده بصفاته، ولقصور العقول عن الإحاطة بغالي تلك الصفات. ولتقريب الأمر إليهم عن كثب. خلق لهم بشراً منهم يمثِّل لهم تلك الصفات السامية لذاته تعالى بما اتّصفوا به من جميل الخصال.

وهل ياترى خلق خلقاً أفضل في الصفات وأجمل في الخصال من نبيِّنا الأكرم وأوصيائه الأُمناء، فكانوا أحق البشر في أن يمثِّلوا صفاته القدسيّة. ولولا هؤلاء لما حصل الغرض من خلق الخلق، لعدم معرفتهم به تلك المعرفة المطلوبة، بدون أن

---

(١) نهج البلاغة، ٢٨.

(٢) الحديث القدسي «كنت كنزاً مخفياً فاحببت أنْ أُعرَف فخلقت الخلق لكي أُعرف». بحار الأنوار ٨٤/١٩٩/٦ و ٣٤٤/١٩.

يكونوا ممثلين لصفاته، فلذا كان خلق الخلق لأجل أولئك الذين مثّلوه، ليحصل بذلك عرفانه، فكان الناس الصنايع لأجلهم[١].

وأمّا العقل، فهو بعد أن أدرك أن لهذا العالم الملموس موجداً ابتدعه يلتمس الوصول إليه. والاهتداء إلى الوقوف عليه. وبالآثار يتعرّف ذلك المبدع الموجد. وأقربها إلى حسه أن يكون له مثال يكشف عن سمو صفاته، بعد أن تعذّر عليه الوصول إلى قدسي ذاته.

فإذا عرفنا بالآثار أنّ خاتم الأنبياء وأوصياءه النجباء أكمل العالم صفاتاً وأفضلهم أعمالاً. عرفنا أنّ المثاليّة فيهم أتمّ وهل الأجدر فيها أن تكون على الطراز الأعلى والسنام الأرفع. أم على وجه لا يخلو من قصور...؟ ترى أنّ العقل يتردّد في اختيار الغرار الأفضل للتمثيل، والطراز الأتمّ للتعريف.

---

(١) يقول عليه السلام: «ليس لاحد من البشر علينا نعمة، بل الله تعالى هو الذي أنعم علينا، فليس بيننا وبينه واسطة والناس بأسرهم صنائعنا؛ فنحن الواسطة بينهم وبين الله تعالى» ويحتمل أن يريد بالناس بعض الناس أي المختار من الناس نصطنعه ونرفع قدره. وقال ابن أبي الحديد: هذا مقام جليل طاهر ماسمعت وباطنه أنهم عبيد الله والناس عبيدهم. وقال ابن ميثم: لفظ الصنائع في الموضعين مجاز من قبيل إصلاف المحال يقال: فلان صنيعة فلان إذا اختصه لموضع نعمته، والنعمة الجزيلة التي اختصهم الله بها هي نعمة الرسالة وما يستلزمه من الشرف والفضل حتى كأن الناس عيالاتهم فيها. بحار الأنوار: ج٣٣ ص٦٨.

الطريق الثامن:

الحضوري أبلغ في الدلالة

إنّ الرسول الأمين وخلفاءه الأمناء؛ أدلّاء على الموجد سبحانه، المتفضّل بسوابغ النعم التي تفوت حدّ الإحصاء.

والدليل يجب ـ بحكم العقل ـ أن يكون صالحاً للقيام بوظيفته... وهل الأبلغ في الدلالة، والأمثل في الإشارة أن يكون الدليل على أحسن سمة وأفضل صفة، أو يكفي فيه أن يتحلى بمحاسن الخصال، وإن كان ثمّة ما هو أرفع مقاماً، وأعلى منزلة؟

لا يشكّ العقل في أنّ الأجدر في الدليل أن يكون أعلى منزلة، إذا كان المدلول عليه لا يحيط به الوصف، ولا يصل إلى كنهه الحسّ، ليكون أقرب إلى الإشارة في تعريفه. وأقدر على البيان في وصفه.

الطريق التاسع:

ذو العلم الحضوري أسلم عن الإنخداع

إذا لم تكن الضمائر متجلية للإمام، ولا الدفائن منكشفة له، جاز أن لا يعرف المؤمن من المنافق والسليم من السقيم. حينما يتساوى الجميع في المظاهر الجميلة، ويتنافسون في الأعمال الجليلة.

وما الذي ـ عند ذلك ـ يحجز عن انخداعه بذلك الجمال البارز، فيمنعه عن الوقوع في الأخطار، وإيقاع سواه في المهالك. كلّ ذلك ركوناً إلى تلك الصور الجميلة، واعتماداً على ذلك الحسن الفاتن.

وأمّا إذا كان علمه حضورياً فلا تخفى عليه دخائل الصدور وخبايا الزوايا فكيف يغتر بالجمال الظاهر، أو يفتتن بالبيان الساحر؟ فصاحب العلم الحاضر أسلم

عن الإنخداع وأبعد عن الإفتتان.

الطريق العاشر:

لابدّ أن يكون علم السفير والشهيد حضورياً

إنَّ النّبي وخلفاءه الأئمّة سفراء الله في الناس وأمناؤه على خلقه، وشهداؤه عليهم، وكيف يكون الشهيد على الناس والسفير فيهم والأمين عليهم، من لا يعلم شيئاً من حالهم، ولا يدري ما ذا كان عملهم، ولا يكون خبيراً بما تجنّه ضمائرهم، وتطويه سرائرهم...؟

فلو كان علمه حضورياً، لحقَّ أنَّ يكون الشهيد على الأمّة المخبر عمّا تعمله، والأمين على العالم الناصح لهم، والسفير فيهم، والوسيط بينه تعالى وبينهم، والمبلغ عنه أحكامه تعاليمه، وعنهم الطاعة أو العصيان.

هذا بعض ما سنح في الفكر من تقريب العقل للحضوري؛ وتقديمه على الإشائي ولو أردنا بسط البحث، لكانت الأدلّة أكثر... وبما سبق كفاية.

هل هناك حكم عقلي معارض؟

إنّا لو أطلنا التفكير في هذا الشأن، وأجلنا النظر في أطرافه، لم نجد برهاناً للعقل يدفع ما سلف، ويهدم أساس ذلك البناء الرصين.

نعم أقصى ما يمكن أن يدَّعي نهوضه للمقاومة، أُمور ثلاثة:

الأوّل ـ ان العقل يستعظم ذلك المقام، ويستكبر تلك المنزلة، حتّى يكاد أن يلحق ذلك الزعم بالغلو.

الثاني ـ لو كان علمهم حضورياً لا لتمست آثاره، وسمعت أخباره. وكيف تخفي مثل هذه الخلّة العظيمة؟

الثالث ـ أيّة جدوى ملموسة، لو كانت لهم تلك الملكة النفسيّة. وهم لا يقوون على إعمالها؟ وأيّة فائدة محسوسة. إذا كانوا على تلك الصفة وهم لا يستطيعون أن يتظاهروا بها.

الجواب عن الأوّل

إنّ الإستعظام أو الإستبعاد ليسا من البراهين لتقوم بدفع ما سلف على أنّ مثل الإستكبار لو فرض وقوعه من العقل. فهو عند أوّل نظرة، وحين عروض هذه الخلّة. قبل الروّية والسير لما سجله العقل من الحجج وأتى به من الشواهد المقرّبة... .

ولو فطن إلى أنّ الحضوري ممكن بنفسه لا مانع من اتّصافهم بـه بـل وكـان الأجدر بهم. والأنسب لمقامهم، لما وجد مجالاً للاستبعاد. ومحلاً للاستعظام.

وأمّا الغلوّ فلا مورد له. بعدما أسلفنا بيانه في المقدمة الثالثة من الفرق بـين علمه تعالى وعلم الإمام على تقدير كونه حضوريّاً.

الجواب عن الثاني

إنّ مشاهدة الأثر لذلك العلم الحضوري لا يختلف فيه إثنان. إلّا من يريد الحطّ من مقام الأئمّة ودفع تلك المنزلة من العصمة.

ومثل هؤلاء لا نقف معهم في مثل هذا الموقف. ولا نخوض وإيّاهم في مثل هذا البحث. ونكران المشاهدة مكابرةٌ محضة.

ومن أين ذهب بعض الضعاف في البصائر إلى القول بألوهـيّتهم لو لم يكـن هناك ما يشاهدون من الآثار التي لم تتحمّلها عقولهم.

وهذه كتب الفضائل بين يديك تعطيك مثالاً صالحاً لذلك العلم. فكم أخبروا عمّا فات وعمّا هو آت. وكم حدّثوا رجلاً عمّا ارتكب من فعل وعمّا نوى في نفسه، واختلج في صدره.

ولولا الإطالة لأتينا لكلّ إمام من ذلك طرفاً مستملحة. وإنّ الكـتب المـعدّة

لسرد أحوالهم أشارت إلى شيء من تلك النوادر، وكفى منها: إرشاد الشيخ المفيد، وكشف الغمة، ومناقب ابن شهراشوب، وأصول الكافي في باب مواليدهم، وبصائر الدرجات والخرائج والجرائح وروضة الكافي، وجمع شطراً منها صاحب مدينة المعاجز.

الجواب عن الثالث

إنَّ تلبُّسهم بتلك الخصال الكريمة وإن كان لنفع البشر، إلّا أنَّ الناس إذا انصرفوا عن نور الحقّ، وتسكعوا في وهدة الباطل، بسوء الاختيار منهم، فأي تقصير يكون لمن تقمَّص بذلك الخلق الكريم، إذا لم يجد مساغاً لإظهار علمه، وإبراز ما يحمل من الهدى والرشاد...؟

ولو صحّ من هذا النقض لبطلت النبوات والشرائع، لصفح الناس عن أُولئك الهداة، وإعراضهم عن هاتيك الأحكام الإلهيّة. بل لبطل خلق الخلق، لأنَّهم لم يعرفوا الحق كما يحق ولم يعبدوه كما يجب.

نعم! لو تُنِيتَ الوسادة لأُولئك المرشدين لعرفت الناس منازلهم حقّاً ولظهرت آثارهم واضحة. ولكن كيف يمكنهم أن يعلنوا بما تضم جوانحهم، والناس مصرّة على الإعراض عنهم، وعدم الاهتداء بنورهم والإنتفاع بعلمهم؛ بل والسيوف مجرّدة فوق رؤوسهم، إن فاه أحدهم بمكنون علمه، أو أظهر كرامة، أو أقام حجّة، لم يجد ما يشيم عنه ذلك الصارم، أو يقف دون حده.

حتّى أن الصادق عليه السلام قال: **«لو كانت لألسنتكم أوكية لحدثت كلَّ إمرئٍ بما له وعليه...»**[1]، وحتّى قال الصادق عليه السلام لمؤمن الطاق: **«يا بن النعمان إنّ العالم لا يقدر**

---

(١) حدّثنا الحسين بن علي عن العبّاس بن عامر عن خريس عن عبد الواحد بن المختار ←

أن يخبرك بكل ما يعلم...»[1] إلى كثير من أمثال هذا.

← عن أبي جعفر عليه السلام قال: لو كان لألسنتكم أوكية لحدث كلّ امرئ بما له.
(بصائر الدرجات، باب في الأئمّة لو كان لألسن شيعتهم أوكية لحدّثوا، ح ١ و ٢.

(١) الحسن بن علي بن شعبة في تحف العقول: عن أبي جعفر محمّد بن النعمان الأحول قال: قال لي الصادق عليه السلام: إنّ الله عزّ وجلّ قد عيّر أقواماً في القرآن بالإذاعة، فقلت له: جُعلت فداك، أين؟ قال: قال «قوله ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾(النساء: ٨٣)، ثمّ قال: المذيع علينا سرّنا كالشاهر بسيفه علينا، رحم الله عبداً سمع بمكنون علمنا، فدفنه تحت قدميه، يابن النعمان إنّي لأُحدِّث الرجل منكم بحديث فيتحدّث به عنّي، فأستحلّ بذاك لعنته والبراءة منه، فإنّ أبي كان يقول: وأيّ شيء أقرُّ للعين من التقيّة، إنّ التقيّة جُنّة المؤمن ولولا التقيّة ما عُبد الله، وقال الله عزّ وجلّ: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ (آل عمران: ٢٨)، يابن النعمان إنّ المذيع ليس كقاتلنا بسيفه، بل هو أعظم وزراً بل هو أعظم وزراً بل هو أعظم وزراً (تحف العقول: ٢٢٨)، يابن النعمان، إنّ العالم لا يقدر أن يخبرك بكلّ ما يعلم، لأنّه سرّ الله الذي أسرّه إلىٰ جبرئيل، وسراه جبرئيل إلى محمّد صلى الله عليه وآله وأسرّه محمّد صلى الله عليه وآله إلى علي، وأسرّه علي عليه السلام إلى الحسن، وأسرّه الحسن عليه السلام إلى الحسين، وأسرّه الحسين عليه السلام إلى علي، وأسرّه علي عليه السلام إلى محمّد، وأسرّه محمّد عليه السلام إلى مَن أسرّه عليه السلام، فلا تعجلوا فو الله لقد قرب هذا الأمر ثلاث مرّات فأذعتموه فأخّره الله، والله ما لكم سرّ إلّا وعدوّكم به منكم (تحف العقول: ٢٢٩). يابن النعمان، إبق على نفسك فقد عصيتني، لا تذع سرّي، فإنّ المغيرة بن سعد كذب علىٰ أبي وأذاع سرّه فأذاقه الله حرّ الحديد، وإنّ أبا الخطّاب كذب عليَّ وأذاع سرّي فأذاقه الله حرّ الحديد، ومَن كتم أمرنا زيّنه الله به في الدّنيا والآخرة ←

فكانت المخاوف من جهة، وعدم تحمل الناس ذلك من جهة أُخرى، إلى ما سوى هذه الجهات، صوارفاً فألهم في إبداء ما منحو من تلك الكرامة.

← وأعطاه حظّه، ووقاة حرّ الحديد وضيق المحابس، إنّ بني إسرائيل قحطوا حتّى هلكت المواشي والنسل فدعا الله موسي بن عمران فقال: يا موسى إنّهم أظهروا الزنىٰ والربا، وعمّروا الكنائس، وأضاعوا الزكاة، فقال: إلٰهي تحنّن برحمتك عليهم فإنّهم لا يعقلون، فأوحى الله إليه: إنّي مرسل قطر السماء ومختبرهم بعد أربعين يوماً، فأذاعوا ذلك وأفشوه، فحبست عنهم القطر أربعين سنة، وأنتم قد قرُب أمركم فأذعتموه في مجالسكم.. إلى أن قال: (تحف العقول: ٢٣٠) ومن استفتح نهاره بإذاعة سرّنا، سلّط الله عليه حرَّ الحديد وضيق المحابس. (مستدرك الوسائل، باب ترحيم إذاعة الحقّ مع الخوف به، ح ١).

البرهان النقلي

على علم الإمام الحضوري

إنَّ النقل «كتاباً وسنّة» يعارض حكم العقل بأنَّ علم الرسول وأوصيائه حضوري، بل هو أصرح في الدلالة، وأظهر في المطلوب.

ما دلَّ من الكتاب على علمهم الحضوري

لقد نطق الكتاب المجيد في عدة آيات بعلمهم الحضوري، نذكر منها بعض الآيات الكريمة، **منها قوله تعالى:** ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾[1] إنَّ النّبي وخلفاءه الأئمّة من الراسخين في العلم، الذين قرَنَ الله جلّ شأنه علمهم بالتأويل بعلمه. فعلَّمهم بالتأويل في عرض علمه. وكيف يعلمون التأويل وعلمهم غائب عنهم؟ وكيف يقرنهم جلّ شأنه في العلم بعلمه وعلمهم غير حاضر لديهم؟.

ومنها قوله سبحانه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۞ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾[2] فقد دلت هذه الآية الكريمة على أنَّ النّبيﷺ لا ينطق إلّا عن وحي[3] وتعليم، من دون أن يذكر لذلك التعليم حدّاً، وللوحي قيداً، وإنَّ الأئمّة

---

(١) سورة آل عمران: ٧.

(٢) سورة النجم: ٣ ـ ٥.

(٣) والوحي في الاصطلاح، هو: عبارة عن الرابطة المعنوية التي تحصل للأنبياء عن ←

ورثة النّبيﷺ في علمه وسائر فضائله.

ومنها قوله عزّ شأنه: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[1] ولا شك في أنَّ نبيّنا الأكرم ممّن ارتضاه تعالى للإطلاع على غيبه، بل الأخبار في تفسير هذه الآية الكريمة صريحة بهذا. وهل العلم الحضوري إلّا الإطّلاع على الغيب؟ وهل المستبعد المستعظم لحضوري علمهم إلّا لكونه غيباً. والغيب ممّا استأثر به العلّام جلّ شأنه. فأين هو عمّا نوّهت به هذه الآية الكريمة؟ وأمّا الإمام فهو الوارث لعلم الرسول، وخصاله كافّة.

ومنها قوله تبارك وعلا: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾[2] وقد جاء في تفسيرها إنَّ الأُذن الواعية هي أذن أميرالمؤمنينؑ وأنّها وعت ما كان وما يكون.

ومنها قوله عزّ وجلّ: ﴿إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ﴾[3]. **وقوله تعالى شأنه:** ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾[4] إلى غيرهما من الآيات المصرّحة بوجود الشاهد على الأُمّة يوم البعث والحساب، وقد فسرت بالنبيﷺ وأوصيائه الأُمناء. وكيف يكونون الشهداء على الناس، وهم لا يعلمون شيئاً من حالهم، ولا

← طريق الاتصال بالغيب، لتلقي الرسالة السماوية. والرسول هو المتسلم للرسالة التي تأتيه بواسطة هذا الاتصال ـ الوحي ـ من الجهة المرسلة. ولا تتوفر في غيره الاهلية والقدرة على مثل هذا التلقي أو الاستلام. علوم القرآن ج١، ص٣، قم انتشارات إسلامي.

(١) سورة الجن: ٢٦ ـ ٢٧.

(٢) سورة الحاقّة: ١٢.

(٣) سورة النساء: ٤١.

(٤) سورة قّ: ٢١.

يدرون بما يعملون...؟ وهل يكون الشاهد إلّا الحاضر المطّلع...؟

ومنها قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَـٰتُۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾[١] وقد صح أنّهم هم المقصودون بهذه الآية. ولو لم يكن علمهم حاضراً، لما صدق عليهم أنّهم أُوتوا العلم. وكيف يكون ثابتاً في صدورهم وهم لا يعرفونه؟ وهل يكون غير الموجود ثابتاً؟

وقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[٢].

فبهذا نفهم أنّه ﷺ عالم بكلّ شيء، ولا يكون ذلك إلّا بالحضوري. وما انتهى إليه ﷺ فقد انتهى إليهم.

إلى غير هذه الآيات البيِّنات، ممّا يشهد لذلك العلم الحاضر.

ما دلّ من الحديث على علمهم الحضوري

لقد صرّحت الأخبار، وأنبأت بوضوح، بما كان عليه النّبي ﷺ والأئمّة من ولده، من ذلك العلم الحاضر... ونورد طرفاً منها في ضمن طوائف.

الطائفة الأُولى:

الأئمّة خزنة العلم والحجّة البالغة

صرّحت طائفة من الأحاديث بأنّ الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام خزنة علم الله وعيبة وحية[٣]، وأنّهم الحجّة البالغة على من دون السماء ومن فوق الأرض[٤].

---

(١) سورة العنكبوت: ٤٩.

(٢) سورة النحل: ٨٩.

(٣) محمّد بن يحيى العطّار، عن أحمد بن أبي زاهر عن الحسن بن موسى، عن علي بن ←

→ حسان، عن عبدالرحمن بن كثير قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: نحن ولاة أمر الله وخزنة علم الله وعيبة وحي الله.

علي بن موسى، عن أحمد بن محمّد عن الحسين بن سعيد، ومحمّد بن خالد البرقي، عن النضر بن سويد رفعه، عن سدير عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك ما أنتم؟ قال: نحن خزّان علم الله ونحن تراجمة وحي الله ونحن الحجّة البالغة على من دون السماء ومن فوق الأرض.

(أُصول الكافي، كتاب الحجّة، باب أنّ الأئمّة عليهم السلام ولاة أمر الله وخزنة علمه، ح١ ـ ٣).

(٤) أحمد بن مهران، عن محمّد بن علي ومحمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد جميعاً عن محمّد بن سنان عن المفضّل بن عمر، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما جاء به علي عليه السلام أخذ به وما نهى عنه انتهي عنه جرى له من الفضل مثل ما جرى لمحمّد صلى الله عليه وآله ولمحمّد صلى الله عليه وآله الفضل على جميع من خلق الله عزّ وجلّ، المتعقّب عليه في شيء من أحكامه كالمتعقّب على الله وعلى رسوله، والرادّ عليه في صغيرة أو كبيرة على حدّ الشرك بالله، كان أميرالمؤمنين عليه السلام باب الله الذي لا يؤتي إلّا منه وسبيله الذي من سلك بغيره هلك، وكذلك يجري لأئمّة الهدى واحداً بعد واحد جعلهم الله أركان الأرض أن تميد بأهلها، وحجّته البالغة على من فوق الأرض ومن تحت الثرى. وكان أميرالمؤمنين صلوات الله عليه كثيراً ما يقول: أنا قسيم الله بين الجنّة والنار وأنا الفاروق الأكبر وأنا صاحب العصا والميسم لقد أقرّت لي جميع الملائكة والروح والرسل بمثل ما أقرّوا به لمحمّد صلى الله عليه وآله ولقد حملت على مثل حمولته وهي حمولة الربّ وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يدعى فيكسى وأُدعى فأُكسى ويستنطق وأستنطق فأنطق على حدّ منطقه، ولقد ←

إنَّ علم الله سبحانه لا يحصيه حاسب، ولا يحصره كاتب. وهل يكون الخازن جاهلاً بما في الخزانة والعيبة؟ وهل هو إلّا كناية عن استيداعه تعالى علمه أوعية صدورهم وغياب قلوبهم.

وكيف يحجب الله تعالى علمه عن حجته؟ وكيف تكون تلك الحجّة بالغة؟ وليس لديها علم بالحوادث والأعمال، لتكون مخبرة لهم عما يعملون عند الإعجاز والكرامة.

وإنَّ عموم العلم المخزون عندهم شامل لكلّ أمر من حكم أو موضوع كلّي أو جزئي.

الطائفة الثانية:

علمهم بما في السماء والأرض

صرّحت هذه الطائفة من الأحاديث بأنَّ الله سبحانه أجلّ وأكرم من أن يفرض طاعة عبد يحجب عنه علم سمائه وأرضه[1].

← أُعطيت خصالاً ما سبقني إليها أحدٌ قبلي؛ علمت المنايا والبلايا والأنساب وفصل الخطاب فلم يفتني ما سبقني ولم يعزب عنّي ما غاب عنّي، أبشر بإذن الله وأؤدّي عنه، كلّ ذلك من الله مكّنني فيه بعلمه.

(أُصول الكافي، كتاب الحجّة، باب أنّ الأئمّة عليهم السلام أركان الأرض، ح ١).

(١) أحمد بن محمد ومحمّد بن يحيى، عن محمّد بن الحسين، عن إبراهيم بن إسحاق الأحمر، عن عبد الله بن حمّاد عن سيف التمّار قال: كنّا مع أبي عبد الله عليه السلام جماعة من الشيعة في الحجر فقال: علينا عين، فالتفتنا يمنة ويسرة فلم نرَ أحداً، فقلنا: ليس علينا ←

وهذه فوق صراحتها بالمطلوب دلّت على أنّ حجب علم السماء والأرض عن الإمام ممّا يستلزم النسبة لله بما ينافي كرمه وجلالة شأنه.

بل لو حجب ذلك العلم عنه لما صحّ لأن يكون مفترض الطاعة. وكيف تكون طاعته مفروضة، وليس لديه علم ما يسأل عنه.

الطائفة الثالثة:

إنّ الأئمّة هم الراسخون في العلم والذين أُوتوا العلم

نطقت هذه الطائفة من الأحاديث بأنّ الراسخين[1] في العلم الذين علموا

← عين، فقال: وربّ الكعبة وربّ البنية ـ ثلاث مرّات ـ لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أنّي أعلم منهما ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما لأنّ موسى والخضر عليهما السلام أُعطيا علم ما كان ولم يُعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتّى تقوم الساعة، وقد ورثناه من رسول الله صلى الله عليه وآله وراثة.

عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن سنان، عن يونس بن يعقوب، عن الحارث بن المغيرة، وعدّة من أصحابنا منهم عبد الأعلى وأبو عبيدة وعبد الله بن بشر الخثعمي سمعوا أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّي لأعلم ما في السماوات وما في الأرض، وأعلم ما في الجنّة وأعلم ما في النار ما كان وما يكون، قال: ثمّ مكث هنيئةً فرأى أنّ ذلك كبر على من سمعه منه، فقال: علمتُ ذلك من كتاب الله عزّ وجلّ، إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾.

(أُصول الكافي، كتاب الحجّة، باب أنّ الأئمّة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنّه لا يخفى عليهم شيء صلوات الله عليهم أجمعين. الحديث ١ و٢.

(١) عن عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن الحسن بن سعيد، عن النضر بن سويد،

تأويل القرآن، والمقرون علمهم بالتأويل بعلمه جلّ شأنه: هم الأئمّة من أهل البيت، وأنّهم هم الذين قال الله تعالى عنهم في محكم فرقانه: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾(١).(٢)

كيف ياترى شأو العلم يقرن الجليل تبارك وعلا بعلمه؟ وكيف ياترى شأنهم والله تعالى يخبر عنهم بأنّهم الراسخون في العلم، وأنّهم أُوتوه وأثبت في صدورهم؟.

ولو أمكن وصف علمهم بأعلى وأرفع من الحضوري لكان في هذه الأحاديث المفسرة لتلك الآيات الكريمة، مجال لذلك الوصف. وإنّما نسمّي علمهم بالحاضر لقصورنا عن إدراك وصف أسمى منه، بل ولجهلنا لحقيقة ذلك العلم.

الطائفة الرابعة:

الأئمّة معدن العلم ووارثوه

أنبأت هذه الطائفة: بأنّ الأئمّة عليهم السلام شجرة النبوّة، وبيت الرحمة، ومعدن العلم،

← عن أيّوب بن أحمد، و عمران بن علي، عن أبي بصير قال: سمعت أبي عبد الله عليه السلام قال: نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تأويله.

الحسين بن محمّد عن معلّى بن محمّد، عن محمّد بن اورمة، عن علي بن حسّان، عن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الراسخون في العلم أمير المؤمنين والأئمّة من بعده عليهم السلام.

المصدر نفسه: باب الراسخين في العلم هم الأئمّة. الحديث ١ و ٢.

(١) سورة العنكبوت: ٤٩.

(٢) المصدر نفسه: باب أنّ الأئمّة قد أُوتوا العلم وأُثبت في صدورهم، الحديث ٢ ـ ٣.

ومختلف الملائكة[١]، وموضع الرِّسالة، وورثة العلم يورثه بعضهم بعضاً[٢].

---

(١) أحمد بن مهران عن محمّد بن علي، عن غير واحد، عن حمّاد بن عيسى، عن ربعي بن عبد الله، عن أبي الجارود قال: قال عليّ بن الحسين عليه السلام: ما ينقم الناس منّا؟ فنحن والله شجرة النبوّة وبيت الرحمة ومعدن العلم ومختلَف الملائكة».

أحمد بن محمّد، عن محمّد بن الحسين، عن عبد الله بن محمّد عن الخشّاب، قال: حدّثنا بعض أصحابنا عن خيثمة قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا خيثمة نحن شجرة النبوّة وبيت الرحمة ومفاتيح الحكمة ومعدن العلم وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وموضع سرّ الله، ونحن وديعة الله في عباده، ونحنُ فرج الله الأكبر، ونحن ذمّة الله، ونحن عهد الله، فمن وفي بعهدنا فقد وفي بعهد الله، ومَن خفرها فقد خفر ذمّة الله و عهده».

(أُصول الكافي: باب أنّ الأئمّة عليهم السلام معدن العلم وشجرة النبوّة ومختلف الملائكة، الحديث ١ ـ ٣.

(٢) علي بن إبراهيم، عن أبيه عن حمّاد بن عيسى، عن حريز، عن زرارة وفضيل، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ العلم الذي نزل مع آدم عليه السلام لم يرفع، والعلم يتوارث وكان عليّ عليه السلام عالم هذه الأمّة وأنّه لم يهلك منّا عالم قطّ إلّا خلفه من أهله من علم مثل علمه أو ما شاء الله».

محمّد، عن أحمد، عن علي بن النعمان رفعه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أبو جعفر عليه السلام: يمصون النماد ويرعون النهر العظيم، قيل له: وما النهر العظيم؟ قال: رسول الله صلى الله عليه وآله والعلم الذي أعطاه الله، إنّ الله عزّ وجلّ جمع لمحمّد صلى الله عليه وآله سنن النبيِّين من آدم وهلم جرّا إلى محمّد صلى الله عليه وآله، قيل له: وما تلك السنن؟ قال: علم النبيِّين بأسره، وأنّ رسول ←

وهل يريد المرء بالإفصاح عن علمهم الحضوري بأجلى من هذا البيان وأظهر من هذا المفاد؟ وكيف يكونون معدناً للعلم، ولا علم يحضر هذا المعدن؟ وكيف يتوارثون العلم، والمتوارث شيء غير موجود؟

ولو ادعي أنّها تختص بالعلم بالأحكام وموضوعاتها الكلّية، فلا نجد مبرراً لهذه الدعوى، واللفظ عام والعموم أليق بتلك المنزلة. ومن يتحلّى بتلك الصفات الشريفة التي أخبرت عن بعضها هذه الأحاديث لا يستغرب من علمه إذا كان حضورياً وحاصلاً لديه في كلّ حين. ومن يكون مختلفاً للملائكة وموضعاً للرسالة وبيتاً للرحمة وشجرة للنبوّة، كيف لا يكون حاضر العلم يدري بما يعمل الناس ويصف لهم ما تنطوي عليه سرائرهم.

الطائفة الخامسة:

الأئمّة ورثة علم النّبي صلى الله عليه وآله

نطقت هذه الطائفة بأنّ الأئمّة عليهم السلام ورثة علم النّبي صلى الله عليه وآله وأنّ النّبي صلى الله عليه وآله ورث جميع علوم الأنبياء والرسل وأُولي العزم[1].

← الله صلى الله عليه وآله صيَّر ذلك كلّه عند أمير المؤمنين عليه السلام و فقال له رجل: يا بن رسول الله فأمير المؤمنين أعلم أم بعض النبيِّين؟ فقال أبو جعفر: اسمعوا ما يقول!! إنّ الله يفتح مسامع من يشاء إنّي حدّثته: إنّ الله جمع لمحمّد صلى الله عليه وآله علم النبيِّين وأنّه جمع ذلك كلّه عند أمير المؤمنين عليه السلام وهو يسألني أهو أعلم أم بعض النبيّين».

المصدر نفسه، باب أنّ الأئمّة عليهم السلام ورثة العلم يورث بعضهم بعضاً العلم، الحديث ٢ ـ ٦.

(١) محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن علي بن الحكم عن عبد الرحمن بن كثير ←

فهذه الطائفة أخبرتنا بأنَّ علم العالم كلّه وصل إليهم، واجتمع عندهم، فكلّ ما كان للأنبياء والرسل وأوصيائهم من علم فهو قد انتهى إليهم وورثوه منهم. وهل بعد هذا العلم الذي كان عليه كافّة الرسل وصار لديهم يبقى مجال لأن يقال بأنَّ علمهم ليس بحاضر، بل حضوره تابع للإشاءة، فإذا لم يكن حاضراً لديهم فأي شيء ورثوه إذاً؟.

← عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ أوّل وصيّ كان على وجه الأرض هبة الله بن آدم وما من نبيّ إلّا وله وصيّ، وكان جميع الأنبياء مائة ألف نبيّ وعشرين ألف نبيّ منهم خمسة أُولوا العزم: نوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ومحمّد صلى الله عليه وآله، وأنّ عليّ بن أبي طالب كان هبة الله لمحمّد وورث علم الأوصياء وعلم من كان قبله، أما أنّ محمّداً ورث علم من كان قبله من الأنبياء والمرسلين، على قائمة العرش مكتوب: حمزة أسد الله ورسوله وسيّد الشهداء، وفي ذؤابة العرش عليّ أمير المؤمنين عليه السلام، فهذه حجّتنا علىٰ مَن أنكر حقّنا وجحد ميراثنا، وما منعنا من الكلام وأمامنا اليقين فأيّ حجّة تكون أبلغ من هذا؟

محمّد بن يحيى، عن سلمة بن الخطّاب، عن عبد الله بن محمّد، عن عبد الله بن القاسم، عن زرعة بن محمّد عن المفضّل بن عمر قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ سليمان ورث داود، وأنّ محمّداً ورث سليمان، وإنّا ورثنا محمّداً، وإنّ عندنا علم التوراة والإنجيل والزبور وتبيان ما في الألواح، قال قلت: إنّ هذا هو العلم، قال: أليس هذا هو العلم إنّ العلم الذي يحدث يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة».

(أُصول الكافي: باب الأئمّة عليهم السلام ورثوا النبيّ صلى الله عليه وآله وجميع الأنبياء والأوصياء، الحديث ٢).

الطائفة السادسة:

إن لديهم جميع الكتب ويعرفونها على اختلاف ألسنتها

أخبرت هذه الطائفة بأنَّ عند الأئمّة عليهم السلام جميع الكتب السماويّة، ويقرءونها على اختلاف ألسنتها(١).

إنَّ في الكتب علم الأوّل والآخر والسالف والحاضر، وعلم الأحكام والحوادث والمنايا والبلايا وكلّ شيء، فليت شعري هل يقرءون تلك الكتب وهم يجهلون ما يقرءون، أو يعرفون بعضاً وينكرون بعضاً...؟ إنَّ هذا لشيء عجاب.

---

(١) علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسن بن إبراهيم عن يونس، عن هشام بن الحكم في حديث بريّة أنّه لمّا جاء معه إلى أبي عبد الله عليه السلام فقلي أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام فحكى له هشام الحكاية، فلمّا فرغ قال أبو الحسن عليه السلام لبريه: يا بريّة كيف علمك بكتابك؟ قال: أنا به عالم، ثمّ قال: كيف ثقتك بتأويله؟ قال: ما أوثقني بعلمي فيه، قال: فابتدأ أبو الحسن عليه السلام يقرأ الإنجيل فقال بريّة: إيّاك كنت أطلب منذ خمسين سنة أو مثلك، قال: فآمن بريّة وحسُن إيمانه وآمنت المرأة التي كانت معه، فدخل هشام وبريّة والمرأة على أبي عبد الله عليه السلام فحكى له هشام الكلام الذي جرى بين أبي الحسن موسى عليه السلام وبين بريّة، فقال أبو عبد الله عليه السلام: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ فقال بريّة: أنّى لكم التوراة والإنجيل وكتب الأنبياء؟ قال: هي عندنا وراثة من عندهم نقرأها كما قرأوها ونقولها كما قالوا، إنّ الله لا يجعل حجّة في أرضه يسأل عن شيء فيقول: لا أدري.

(أُصول الكافي: باب أنّ الأئمّة عليهم السلام عندهم جميع الكتب التي نزلت من عند الله... إلخ، الحديث ١.

الطائفة السابعة:

الأئمّة يعلمون الكتاب كلّه

صرّحت هذه الطائفة من الأحاديث بأنّ الأئمّة يعلمون ما في القرآن المجيد كلّه[١]، حتّى قال الصادق عليه السلام: «**والله إنّي لأعلم كتاب الله من أوّله إلى آخره، كأنّه في كفي فيه خبر السماء وخبر الأرض، وخبر ماكان وخبر ما هو كائن، قال الله عزّ وجلّ ﴿فيه تبيان كل شيء﴾**»[٢].

وهل يطلب الباحث أثراً بعد عين، أفترى أنّه أراد من العلم بكتاب الله الذي فيه تبيان كل شيء، من خبر السماء والأرض، وماكان أو هو كائن، هو العلم بالأحكام أو موضوعاتها لا الحوادث والأعمال، وما وقع أو يقع من شؤون العالم. وهل يجوزممن لذي علم أو ذوق أن يحمل هذا البيان على ذلك القصد؟ وهل أصرح من

---

(١) محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد عن ابن محبوب، عن عمرو بن أبي المقدام عن جابر قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: ما ادّعى أحد من الناس أنّه جمع القرآن كلّه كما أُنزل إلّا كذّاب، وما جمعه وحفظه كما نزّله الله تعالى إلّا عليّ بن أبي طالب عليه السلام والأئمّة من بعده عليهم السلام.

(المصدر نفسه: كتاب الحجّة باب أنّه لم يجمع القرآن كلّه إلّا الأئمّة وأنّهم يعلمون علمه كلّه، الحديث ١).

(٢) أُصول الكافي: كتاب الحجّة، باب أنّه لم يجمع القرآن كلّه إلّا الأئمّة وأنّهم يعلمون علمه كلّه، الحديث ٤ و ٥.

ولا يخفى أنّه أراد الاستشهاد بمعنى آية دون لفظها والفظها قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾.

هذا البيان بالعلم بشؤون العالم سابقه وحاضرة ولاحقه.

الطائفة الثامنة:

عندهم جميع العلوم

أفصحت هذه الطائفة من الأحاديث عن سعة ذلك العلم الذي كان عند الأئمّة الأُمناء. فإنَّها أفادت: أنَّ الله علمين: علم أظهر عليه ملائكته وأنبياءه ورسله، فما أظهر عليه وملائكته ورسله وأنبياءه فقد علمناه، وعلم استأثر به فإذا بدا لله في شيء منه أعلمنا بذلك(١).

الله! ما أكبر منازلكم أيّها السادة الأوصياء عند ربّ السماء، وما أرفع مراتبكم أيّها الهداة عند خالق الأرض والسماوات: فقد رفعكم فوق منازل النبيِّين، وسما بكم على معارج المرسلين، حتّى أطلعكم على ما استأثر به من العلم، واختصّكم بما لم يظهر عليه أُولي العزم من رسله... ولا أدري ما وراء هذا يراد من الحضوري؟ ولأيّ شيء بعد هذه الصراحة يصار إلى الاشائي؟.

---

(١) على بن محمّد و محمّد بن الحسن، عن سهل بن زياد، عن محمّد بن الحسن بن شمون، عن عبدالله بن عبدالرحمن عن عبدالله بن القاسم، عن سماعة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى علمين: علما أظهر عليه ملائكته وأنبياء ورسله فما أظهر عليه ملائكته ورسله وأنبياء، فقد علمناه وعلماً استأثر به فإذا بدا الله في شيء منه أعلمنا ذلك وعرض على الأئمّة الذين كانوا من قبلنا.

(أُصول الكافي، باب إنّ الأئمّة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل، ح ١).

الطائفة التاسعة:

يعلمون حتّى بإنقلاب جناح الطائر

بيّنت هذه الطائفة من الأحاديث بأنّه ما ينقلب جناح طائر في الهواء إلّا وعند الأئمّة علم منه[١].

أوليس هذا صريحاً في شمول عليمهم حتّى للجزئي من الحوادث، ووقوفهم على كلّ ما يقع ويكون، فوق ما وقع وكان.

الطائفة العاشرة:

إنّ الأئمّة الشهداء على الناس

نطقت الأخبار العديدة بأنّ النّبي والأئمّة عليهم السلام يكونون الشهداء على الناس يوم العرض والحساب[٢]. أترى يكون أحد شهيداً على أحد، وهو لا يعلم ما اقترف،

---

(١) وبهذا الاسناد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما ينقلب جناح حائر في الهواء إلّا وعندنا فيه علم.

(كتاب عيون الأخبار الرضا عليه السلام: ٢٦.

(٢) الحسين بن محمّد عن معلى بن محمّد عن الحسن بن علي الوشاء عن أحمد بن عائذ عن عمر بن أذينة عن بريد العجلي، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ قال: نحن الأُمّة الوسطى ونحن شهداء الله على خلقه وحججه في أرضه، قلت: قول الله عزّ وجلّ: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ قال: إيّانا عنى خاصّة ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ في الكتب التي ←

ويخبر عما كان عليه وهو لا يدري ما عمل؟

***

هذا كلّه وهو بعض ما نطقت به الأحاديث وصرحت به الأخبار، إذ ليس الغرض الإستيفاء والإستقصاء، بل القصد عرفان ما كانوا عليه من ذلك العلم الزاخر. وإن كنا نجهل ما اتّصفوا به، غير أنّا تستظهر شيئاً أنبأت عنه أحاديثهم، ودلّتنا عليه أعمالهم.

← مضت ﴿وَفِي هَذَا﴾ القرآن ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ فرسول الله ﷺ الشهيد علينا بما بلّغنا عن الله عزّ وجلّ ونحن الشهداء على الناس، فمَن صدق صدقناه يوم القيامة ومن كذب عذّبناه يوم القيامة.

علي بن إبراهيم عن أبيه عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني عن سليم بن قيس الملالى عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه قال: إنّ الله تبارك وتعالى ظهرنا وعصمنا وجعلنا شهداء على خلقه وحجّته في أرضه وجعلنا مع القرآن وجعل القرآن معنا لا نفارقه ولا يفارقنا.

(أصول الكافي، كتاب الحجّة، باب في إنّ الأئمّة شهداء الله عزّ وجلّ على خلقه، ح ٢ و ٥).

منابع علمهم

هناك أحاديث أُخرى تشير إلى بعض المنابع التي يستقون منها غامر علمهم، ومنها يستفاد أنّ ذلك العلم المستقى لابدّ وأن يكون حاضراً لَديهم في كلّ آن، وحاصلاً عندهم في كلّ زمان، وهي على طوائف نشير إلى بعض منها:

أولاهن:

إنّ عندهم الإسم الأعظم

إنّ الإسم الأعظم على ما أعبرت عنه الأحاديث، على ثلاثة وسبعين حرفاً، وإنّ الذين عندهم منه اثنان وسبعون حرفاً!، وحرف واحد استأثر به الجليل تعالى. وما كان عند «آصف» إلّا حرف واحد منه، وقد أحضر به عرش بلقيس بأسرع من طرفة عين. وكان آدم عليه السلام أكثر الأنبياء عليهم السلام حظوة به، وما كان عنده إلّا خمسة وعشرون حرفاً[1].

---

(١) محمّد بن يحيى وغيره عن أحمد بن محمّد عن علي بن الحكم عن محمّد بن فضيل قال: أخبرني شريس الوابشي عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً وإنّما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلّم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس حتّى تناول السرير بيده ثمّ عادت الأرض كما كانت أسرع ←

إنّا وإن لم ندر ما الإسم الأعظم؟ وكيف يكون على ثلاثة وسبعين حرفاً؟ إلّا أنّنا نفهم من هذا البيان خطر شأنهم وكبر مقامهم وسعة علمهم حتّى أنّ الله سبحانه سمّى ذلك الحرف الذي كان عند «آصف» علماً من الكتاب، فكيف بمن كان لديه جميع حروفه؟.

ثانيهن:

إنّ عندهم آيات الأنبياء عليهم السلام

ومن تلك المصادر لعلوم الأئمّة الفيّاضة وقدرتهم الباهرة، آيات الأنبياء كألواح موسى وعصاه وخاتم سليمان، إلى ما سواها[1].

← من طرفة العين، لكن عندنا من الاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً، وحرف واحد عند الله تعالى استأثر به في علم الغيب عنده، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد عن الحسين بن سعيد ومحمد بن خالد عن زكريّا بن عمران القمّي عن هارون بن الجهم عن رجل من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام لم أحفظ اسمه قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ عيسى بن مريم عليه السلام أُعطي حرفين كان يعمل بهما، وأُعطي موسى أربعة أحرف، وأُعطي إبراهيم ثمانية أحرف، وأُعطي نوح خمسة عشر حرفاً، وأُعطي آدم خمسة وعشرين حرفاً، وأنّ الله تعالى جمع ذلك كلّه لمحمّد صلى الله عليه وآله، وأنّ اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً أعطى محمّد صلى الله عليه وآله اثنين وسبعين حرفاً وحجب عنه حرف واحد.

(أُصول الكافي: كتاب الحجّة، باب ما أُعطي الأئمّة عليهم السلام من اسم الله الأعظم، الحديث ١ ـ ٢).

(١) محمّد بن يحيى عن سلمة بن الخطّاب، عن عبدالله بن محمّد عن منيع بن الحجّاج

وهذا ما يعرفنا بأنَّ الأئمّة مُنحوا من العلم والفضل والقدرة ما يعجز عن وصفه البيان، حتّى كان لديهم جميع كتب الأنبياء وعلومهم وآياتهم فأيّ وجه بعد هذا للتردد فيما كان لديهم من العلم، ومقدار ذلك الغامر منه؟

ثالثهن:

ما عندهم من الجفر والجامعة ومصحف فاطمة وما يحدث بالليل والنهار

وهذه إحدى المنابع لعلومهم الزاخرة، وقد أنبأت هذه الطائفة عن بيان هذه المنابع. فإنَّ أبا بصير يقول: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقلت: جعلت فداك: إنّي

← البصري عن مجاشع عن معلى عن محمّد بن الفيض عن أبي جعفر قال: كانت عصا موسى لآدم عليه السلام فصارت إلى شعيب ثمّ صارت إلى موسى بن عمران، وأنّها لعندنا وأنّ عهدي بها آنفاً وهي خضراً كهيئتها حين انتزعت من شجرتها وأنّها لتنطق إذا استنطقت، أعدّت لقائمنا عليه السلام يصنع بها ما كان يصنع موسى، وأنّها لتروع وتلقف ما يأفكون وتصنع ما تؤمر به، إنّها حيث أقبلت تلقف ما يأفكون، يفتح لها شعبتان إحداهما في الأرض والأُخرى في السقف وبينهما أربعون ذراعاً تلقف ما يأفكون بلسانها.

محمّد بن يحيى، عن محمّد بن الحسين عن موسى بن سعدان عن أبي الحسن الأسدي عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: خرج أمير المؤمنين عليه السلام ذات ليلة بعد عتمة ويقول: همهمة همهمة وليلة مظلمة خرج عليكم الإمام عليه قميص آدم وفي يده خاتم سليمان وعصا موسى عليهم السلام.

(أُصول الكافي، كتاب الحجّة، باب عندهم من آيات الأنبياء عليهم السلام، ح ١ و ٤).

أسألك عن مسألة.ها هنا أحد يسمع كلامي؟ فرفع أبو عبدالله ستراً بينه وبين بيت آخر فأطلع فيه، ثمّ قال: **يا أبا محمّد سل عمّا بدا لك.**

قال: جُعلت فداك إنّ شيعتك يتحدّثون أنّ رسول الله ﷺ علّم عليّاً عليه السلام ألف باب يفتح له من كلّ باب ألف باب؟

فقال أبو عبدالله: **يا أبا محمّد علّم رسول الله ﷺ عليّاً عليه السلام ألف باب يفتح له من كلّ باب ألف باب.**

قال أبو بصير فقلت: هذا والله العلم.

ثمّ أنّ الصادق عليه السلام لمّا رأى استعظام أبي بصير هذا المنبع العزيز صار ينبئه بأن لهم منابع أُخرى أغزر مادّةً وأسح فيضاً، فذكر له أنّ عندهم الجامعة، وإنّها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله ﷺ وإملائه من فرق فيه وخطّ عليّ بيمينه، فيها كلّ حلال وحرام، وكلّ شيء يحتاج إليه الناس، حتّى الأرش في الخدش.

ثمّ ذكر: إنّ عندهم الجفر، وأنّه وعاء من أُدم فيه علم النبيِّين والوصيِّين وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل.

ثمّ ذكر أنّ عندهم مصحف فاطمة، وأنّه مثل القرآن ثلاث مرّات ثمّ قال عليه السلام: **إنّ عندنا علم ما كان وعلم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة.**

وفي كلّ هذا يقول أبو بصير مبتهراً ومستعظماً: هذا والله العلم، والصادق عليه السلام يقول: **إنّه لعلم وليس بذلك.**

فقال له أبو بصير: جعلت فداك فأي شيء العلم؟

قال عليه السلام: **ما يحدث بالليل والنهار، الأمر بعد الأمر، والشيء بعد الشيء، إلى يوم القيامة**[1].

---

(١) ولا يخفى أنّه أراد المصنّف أنّه الاستشهاد بمعنى الرواية دون لفظها، ولفظها: عدّة من

→ أصحابنا عن أحمد بن محمّد، عن عبد الله (بن) الحجّان عن أحمد بن عمر الحلبي عن أبي بصير قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت له: جُعلت فداك إنّي أسألك عن مسألة ههنا أحدٌ يسمع كلامي؟ قال: فرفع أبو عبد الله عليه السلام ستراً وبين بيت آخر فأطلع فيه ثمّ قال: يا أبا محمّد سَل عمّا بدا لك، قال: قلت: جعلت فداك إنّ شيعتك يتحدّثون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله علَّم عليّاً عليه السلام باباً يفتح له منه ألف باب؟ قال: فقال: يا أبا محمّد علَّم رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام ألف باب يفتح من كلّ باب ألف باب، قال: قلت: هذا والله العلم، قال فنكت ساعة في الأرض قال: قلت: ثمّ قال: يا أبا محمّد وأنّ عندنا الجامعة وما يدريهم ما الجامعة؟ قال: قلت: جعلت فداك وما الجامعة؟ قال: صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله صلى الله عليه وآله وإملائه من خلق فيه وخطّ عليّ بيمينه فيها كلّ حلالٍ وحرام وكلّ شيء يحتاج الناس إليه حتّى الأرش في الخدش، وضرب بيده إليّ وقال: تأذن إلي يا أبا محمّد؟ قال: قلت: جُعلت فداك إنّما أنا لك فاصنع ما شئت، قال: فغمزني بيده وقال: حتّى أرش هذا كأنّه مغضب، قال: قلت: هذا والله العلم. قال: إنّه العلم وليس بذلك، ثمّ سكت ساعة ثمّ قال: وإنّ عندنا الجفر وما يدريهم ما الجفر؟ قال: قلت: وما الجعفر؟ قال: وعاء من أدم فيه علم النبيّين والوصيّين وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل، قال: قلت: إنّ هذا هو العلم، قال: إنّه لعلم وليس بذاك، ثمّ سكت ساعة ثمّ قال: وإنّ عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام وما يدريهم ما مصحف فاطمة عليها السلام، قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرّات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد، قال: قلت: هذا والله العلم، قال: إنّه لعلم وما هو بذلك، ثمّ سكت ساعة ثمّ قال: إنّ عندنا علم ما كان وعلم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، قال جعلت فداك هذا ←

إنّنا وإن لم ندرك حقيقة هذه المنابع، وقدر هذه المواد، إلّا أنّنا نفهم من هذا البيان أنّهم رُزقوا من العلم ما لا مزيد عليه إلى ما شاء الله جلّ شأنه، وأنّه لو يسمح لنا البيان بأن نعرفه بأكثر من الحضوري، وأوسع من الحصولي، لو سمناه به.

وهل بعد هذا يصحّ أن يُقال في علمهم: إنّه مبنيّ على الإشاءة، وموقوف على الإرادة؟ وأمّا إشرافه عليهم على البيت ورفع الستر في هذه الرواية لا ليعلم هل فيه أحد، فيكون منافياً للحضوري، بل ليطمئن أبو بصير بخلو البيت من السامع.

***

ولقد أوجزنا بنقل الأحاديث التي دلت على سعة علومهم، وحضورها لديهم، لأننا لا نريد استقصاء ما جاء عنهم في هذا الباب، فإن الغرض الأوحد أن نعرف ما كانوا عليه من العلم، ولا نعرفه عن طريق النقل، إلّا بما عرّفوه لنا وأبانوه من ذلك المكنون في أوعية صدورهم.

وبما أوردناه يحصل الغرض المطلوب والضالّة المنشودة. وإن كان ما أوردناه قطرة من غيث وغرقة من بحر، مما جاء عنهم في ذلك من الأخبار، وظهر من الآثار.

← والله العلم، قال: إنّه لعلم وليس بذاك، قال قلت: جعلت فداك فأيّ شيء العلم؟ قال: ما يحدث بالليل والنهار الأمر بعد الأمر والشيء بعد الشيء إلى يوم القيامة.

(أُصول الكافي: كتاب الحجّة، باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة، ع١ ح١).

الأدلّة النقليّة المعارضة

ربما يقال بأنّ هناك أدلة يستفاد منها تضييق تلك الدائرة الواسعة المزعومة، وحصرها في مجال دون ذلك المجال المفروض. وهو أنَّ علمهم، وإن كان زاخر العباب بعيد القطر. إلّا أنَّه لم يكن حاضراً لديهم، حاصلاً عندهم. ساعة بساعة وحيناً بحين. وإنّما يكون حضوره بالأمر إذا شاءوا علم ذلك الأمر. وحصوله بالشيء إذا أرادوا أن يعلموا ذلك الشيء، ولم يكن العلم منهم سابقاً على الإشاءة. حاضراً قبل الإرادة. وعليه الكتاب والسنّة.

الكتاب

ما دلّ من الكتاب على إن علمهم ليس بحاضر

إنَّ من تدبَّر الكتاب المجيد، واستقصى سوره، وجد فيه آيات عديدة تدل على إنَّ نبيّناﷺ، بل والأنبياءعليهم السلام كافّة لا يعلمون الغيب. وليس لهم من العلم إلّا ما علّمهم العلّام جلّ شأنه.

والأئمّة من أهل البيتعليهم السلام ليسوا بأولى من النّبي بذلك. إذ أقصى ما نقول في علمهم أنَّه ورثوه عن النّبيﷺ. وأنَّه انتهى إليهم ما كان يعلمهﷺ من جميع العلوم.

فمن تلك الآيات الكريمة قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[1] فهذه الآية صريحة الدلالة بأنَّ علم الغيب منحصر به سبحانه، ولا يعلمه أحد من خلقه، وعمومها يشمل حتّى الأنبياء والأوصياء.

ومن تلك الآيات البيّنات قوله تبارك وعلا: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ

---

(١) سورة الأنعام: ٥٩.

﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾[١].

فهذه وإن دلت على أنّه تعالى يجوز أن يشرف عباده على علمه. إلّا أنّها دلّت على إنَّ العباد قاصرون عن الإحاطة بعلمه. ولو كان علمهم حاضراً لأحاطوا بعلمه سبحانه.

ومنها قوله تعالى شأنه: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾[٢] فقد دلّت هذه الآية الكريمة على أنَّ النسيان سائغ عروضه على النّبيﷺ ولو كان حاضر العلم لما جاز نسيانه، ولا إحتاج إلى لفته، بأن يكون متنبّهاً لما يقرأ عليه حتّى لا ينسى.

ومنها قوله عزّ وجلّ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[٣] لهذه الآية صريحة بإنحصار علم الغيب بالله جلّ شأنه. ولو كانوا حاضري العلم لاشتركوا معه سبحانه بهذه الصفة، بل إنَّ النّبي نفسه يعترف بأنّه لا يعلم الغيب، كما حكى عنه تعالى ذلك في قوله تبارك وعزّ: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾[٤]... وهل بعد هاتين الآيتين من شبهة في إنَّ علم الغيب منحصر به تعالى، وأنَّ علمهم ليس بحاضر؟

ومنها قوله عزّ شأنه: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَـٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾[٥].

وأي دلالة أصرح من دلالة هذه الآية المباركة بأنَّ علم النّبيﷺ لم يكن

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٥.

(٢) سورة الأعلى: ٦.

(٣) سورة النمل: ٦٥.

(٤) سورة الأعراف: ١٨٨.

(٥) سورة التوبة: ١٠١.

حاضراً بالأشياء، ولو كان حاضراً لأخبر تعالى عنه، بأنّه كان يعلم بنفاق أُولئك الأعراب وبعض أهل المدينة.

فهذه الآيات الكريمة وغيرها من آي الكتاب العزيز صريحة بأنّ النّبي ﷺ كان لا يعلم الغيب. فكيف إذاً شأن الأئمّة الأطهار فيه، وبما أوردناه من الآيات البيّنة كفاية في الدلالة على القصد.

ولا حاجة بنا إلى إيراد شيء من الكتاب الكريم سواها.

«الجواب عنها»

إنّنا لا نريد أن نثبت بأنّ علمهم ذاتي، لا يحتاج إلى المعلم حتّى العلام تعالى، بل إنّ علمهم كان بلطف منه جلّ شأنه، وتعليم من لدنه جلّ ذكره. فهذا لا يأبى من أنّهم لا يعلمون بالذات: الغيب ولا غيره، فهذه الآيات الكريمة لا تعارض تلك الآيات التي صرّحت بأنّ الله تعالى وإن استأثر بعلم الغيب إلّا أنّه إذا شاء أظهر عليه من ارتضاه من الرسل، وأنّ رسولنا ﷺ ـ كما في الأحاديث ـ ممّن إرتضاه الله سبحانه.

على أنّ هذه الآيات نفسها دلت على هذا المفاد، كما في قوله: ﴿**وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ**﴾[1] فإنّ هذا الإستثناء كاف في الدلالة على إشاءته تعالى لأن يحيطوا بشيء من علمه.

وهذه الطائفة محمولة على استئثاره بالعلم الذاتي. وأمّا من أطلعه على ذلك العلم ـ كما دلّت عليه تلك الآيات ـ فذلك العلم محمول على العرضي، بل إنّنا لا نريد أن نثبت بما سلف أنّ لديهم كلّ ما يعلمه الجليل سبحانه، ولا تلازم بين علمهم الحضوري وأنّهم يعلمون كل ما يعلمه العلام سبحانه؛ فيجوز حينئذ أن نحمل ما دل على نفي علمهم وما دل على استئثاره بشيء على إختصاص ذلك بما تخصص به،

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٥.

ولم يطلع عليه أحداً من البشر؛ ويشهد له ما جاء في الأحاديث التي قالت بأنَّ الإسم الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً وأنَّ عندهم منه إثنين وسبعين، وأنَّ الجليل تعالى إستأثر بحرف واحد. فهذا يدلّ على أنَّه اختصّ بشي لم يطلعهم عليه.

على أنَّه قد يقال في الجواب إنَّ هذه الآيات وما سواها، مما دل بظاهره على أنَّ الأنبياء كانوا لا يعلمون، ولا سيما مثل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾[١] وقوله جلّ شأنه: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾[٢]، وقوله عزّ وعلا: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾[٣] وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[٤] وقوله سبحانه: ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾[٥] إلى غيرها محمولةً على أنَّ المراد بها الأُمَّة من باب إياك أعني واسمعي يا جارة.

بل يمكن الجواب عن كلّ آية آية. ولكن لا نريد الإطالة في الجواب، والإكثار من الكلام. ولو لم يمكن التوفيق بين هاتين الطائفتين من الآيات الكريمة، فلابدّ من التصرف في ظاهر هذه الطائفة خاصة، لأنَّ حكم العقل قاض بأنَّ الإمام لابدّ وأن يكون علمه حضورياً كما أنَّه لا يمكن التصرف في صريح هاتيك الآيات.

---

(١) سورة القدر: ٢.

(٢) سورة الحاقّة: ٣.

(٣) سورة الانفطار: ١٧.

(٤) سورة الإسراء: ٣٦.

(٥) سورة التوبة: ١٠١.

الأخبار النافية
للأخبار الدالة على الحضور

أمّا الأخبار التي دلت على أنَّ علمهم ليس بحاضر، فهي كثيرة جدّاً، لا يسع المقام استيفاؤها، وها نحن نشير إلى طرف منها في طيِّ طوائف.

الطائفة الأولى:

كانوا لا يعلمون الغيب

هناك طائفة من الأحاديث صرَّحت بأنَّ الأئمّة لا يعلمون الغيب، حتّى أنَّ أبا عبدالله عليه السلام خرج يوماً وهو مغضب، فلما أخذ مجلسه، قال: «**يا عجباً لأقوام يزعمون إنّا نعلم الغيب، ما يعلم الغيب إلّا الله عزّ وجلّ لقد هممت بضرب جاريتي فلانة، فهربت مني، فلما علمت في أي بيوت الدار هي**»(١).

---

(١) ولا يخفى أنّه أراد الشيخ أنّه الاستشهاد بمعنى الرواية دن لفظها، ولفظها: أحمد بن محمّد عن محمّد بن الحسن، عن عبّاد بن سليمان عن محمّد بن سليمان عن أبيه عن سدير قال: كنت أنا وأبو بصير ويحيى البزّاز وداود بن كثير في مجلس أبي عبد الله عليه السلام إذ خرج إلينا وهو مغضب، فلمّا أخذ مجلسه قال: يا عجباً لأقوام يز عمون أنّا نعلم الغيب، ما يعلم الغيب إلّا الله عزّ وجلّ، لقد هممتُ بضرب جاريتي فلانة فهربت منّي فما علمت في أيّ بيوت الدار هي؟ قال سدير: فلمّا أن قام من مجلسه وصار في منزله ودخلتُ أنا وأبو بصير وميسر وقلنا له: جعلنا فداك سمعناك وأنت تقول كذا وكذا في أمر جاريتك ونحن نعلم أنّك تعلم علماً كثيراً ولا ننسبك إلى علم الغيب قال: فقال: يا ←

وهذه ـ كما ترى ـ صريحة بأنهم كانوا لا يعلمون الغيب، ولم يكن علمهم بالأشياء حاضراً لديهم. ولو كانوا حاضري العلم دوماً، والأمور منكشفة لهم أبداً، لما خفي عليه هرب الجارية، ومكانها من بيوت الدار.

الطائفة الثانية:

سهو النّبي والأئمّة

وهناك طائفة كبيرة من الأحاديث صرحت بسهو النّبي ﷺ حتّى أنّه صلى الظهر خمس ركعات[1]، ومرة صلاها ركعتين[2]! وإنّ علياً عليه السلام صلى بغير طهر، فأخرج

← سدير ألم تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قال: فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾، قال قلت: جُعلت فداك قد قرأته قال: فهل عرفت الرجل؟ وهل علمت ما كان عند من علم الكتاب؟ قال: قلت: أخبرني به، قلت: جعلت فداك ما أقلّ هذا، فقال: يا سدير ما أكثر هذا أن ينسبه الله عزّ وجلّ إلى العلم الذي أخبرك به، يا سدير فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عزّ وجلّ أيضاً: ﴿قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾، قال: قلت: قد قرأته جعلت فداك، قال: أفمن عنده علم الكتاب كلّه أفهم أمّن عنده علم الكتاب بعضه؟ قلت: لا، بل من عنده علم الكتاب كلّه، قال: فأومأ بيده إلى صدره وقال: علم الكتاب والله كلّه عندنا، علم الكتاب والله كلّه عندنا.

(أُصول الكافي: كتاب الحجّة باب نادر فيه ذكر الغيب، ح ٣).

(١) سعد عن أبي الجوزاء عن الحسين بن علوان عن عمرو بن خالد عن زيد بن علي عن آبائه عن علي عليه السلام قال: صلّى بنا رسول الله ﷺ الظهر خمس ركعات ثم انفتل فقال له ←

→ بعض القوم: يا رسول الله هل زيد في الصلاة شيء؟ فقال: وماذاك؟ قال: صليت بنا خمس ركعات قال: فاستقبل القبلة وكبر وهو جالس ثم سجد سجدتين ليس فيهما قراءة ولا ركوع ثم سلم وكان يقول: هما المرغمتان. قال محمد بن الحسن: هذا خبر شاذ لا يعمل لأنها قد بيّنا أن من زاد في الصلاة وعلم ذلك يجب عليه استيناف الصلاة وإذا شك في الزيادة فإنه يسجد السجدتين المرغمتين، ويجوز أن يكون ﷺ نما فعل ذلك لأن قول واحد له لم يكن مما يقطع به، ويجوز أن يكون كان غلطاً منه وإنما سجد السجدتين احتياطاً. تهذيب الأحكام باب أحكام السهو ح ٣٧.

(٢) عن ابن سيرين، عن أبي هريرة، قال: صلّى بنا رسول الله ﷺ إحدى صلاتي العشيّ، فصلّى بنا ركعتين، ثم سلم فقام خشبة معروفة في المسجد، فاتكأ عليهما كأنّه غضبان، ووضع يده اليمنى على اليسرى، وشبك بين أصابعه، ووضع خده الأيمن على ظهر كفه الأيسر، وخرجت السرعان من أبواب المسجد، فقالوا: قصرت الصلاة؟ وفي القوم أبو بكر وعمر، فهابا أن يكلّماه، وفي القوم رجل في يديه طول يقال له: ذو اليدين، قال: يا رسول الله، أنسيت أم قصرت الصلاة؟ قال: لم أنس ولم تقصر، فقال: أكما يقول ذو اليدين؟ فقالوا: نعم، فتقدم فصلى ما ترك». صحيح البخاري الحديث ٤٨٢. ويلاحظ: أن أبا هريرة يعطى معلومات مفصلة ودقيقة لتصرفات النبي ﷺ والحاضرين آنذاك، ليؤكد بذلك أنّه حضر الواقعة وشاهدها عياناً. إلا أن الواقع التاريخ المتيقن يحتمُ ردّ هذه الرواية؛ لأنه يثبت أن ذا اليدين قد استشهد في معركة بدر قبل إسلام أبي هريرة بخمس سنوات. ذلك «أن ذا اليدين المذكور في الحديث إنما هو ذو الشمالين ابن عبد عمرو حليف بني زهرة، وقد استشهد في بدر، نص على ذلك إمام ←

مناديه يعلم الناس بذلك[١]! وحتّى أنّ الرضاعليه السلام ـ كما في عيون الأخبار ـ لعن الذين لا يقولون بسهو النّبي صلى الله عليه وآله، ونسبهم إلى الغلو[٢]، وأنّ الصادقعليه السلام ـ كما في آخر السرائر ـ

← بني زهرة واعرف الناس بحلفائهم محمد بن مسلم الزهري، كما في الاستيعاب والاصابة وشروح الصحيحين كافة وهذا هو الذي صرح به الثورى ـ في أصحّ الروايتين عنه ـ وأبو حنيفة حين تركوا العمل بهذا الحديث وافتوا بخلافه...

(١) فأما ما رواه علي بن الحكم عن عبدالرحمن العرزمي عن أبي عبد اللهعليه السلام قال: صلّى عليعليه السلام بالناس على غير ظهر وكانت الظهر فخرج مناديه أن أمير المؤمنينعليه السلام صلى على غير طهر فاعيدوا وليبلغ الشاهد الغائب. قال صاحب الاستبصار فيما اختلف من الأخبار فهذا خبر شاذ مخالف للأحاديث وما هذا حكمة ولا يعمل عليه، وقد تضمن أيضاً من الفساد ما يقدح في صحته وهو أن أمير المؤمنينعليه السلام صلّى بالناس على غير وضوء وقد أمننا من ذلك دلالة عصمتهعليه السلام وذكر محمد بن علي بن الحسن ابن بابويه قال: سمعت جماعة من مشايخنا يقولون: ليس عليهم اعادة شيء مما جهر فيه وعليهم اعادة ما مضى بهم مما لمى جهر فيه. الاستبصار فيما اختلف من الأخبار باب من صلى بقوم على غير وضوء ح ٥.

(٢) حدثنا تميم بن عبد الله بن تميم القرشي قال: حدّثني أبي عن أحمد بن علي الأنصاري عن أبي الصلت الهروي قال: قلت للرضاعليه السلام يابن رسول الله أن في سواد الكوفي قوماً يزعمون أن النبيصلى الله عليه وآله لم يقع عليه السهو في صلاته، فقال: كذبوا لعنهم الله أن الذي لا يسهو هو الله الذي لا إله إلا هو قال: قلت يابن رسول اللهصلى الله عليه وآله وفيهم قوماً يزعمون أن الحسين بن عليعليه السلام لم يقتل وأنه القي شبهه على حنظلة بن الشامي وأنه رفع الى السماء كما رفع عيسى بن مريمعليه السلام ويحتجون بهذه الآية: ﴿ولن يجعل الله للكافرين ←

قال: «ربما أقعدت الخادم خلفي يحفظ صلواتي»[١].

وهل يتطلب الباحث إلى أكثر من هذا التصريح... فإنّ علمهم لو كان حاضراً لكان بأفعالهم أجدر؛ فكيف يقع منهم السهو، وهم يعلمون كل شيء من أفعال العباد، أفلا علموا بأفعالهم حتّى يتحرزوا من السهو في أفضلها، وهو الصلاة.

الطائفة الثالثة:

نوم النّبي عن الصلاة الصبح

← على المؤمنين سبيلا﴾سورة النساء الآية ١٤١. قال: كذبوا عليهم غضب الله ولعنته وكفروا بتكذيبهم لنبي الله ﷺ في أخباره بان الحسين بن علي عليه السلام سيقتل والله لقد قتل الحسين عليه السلام وقتل من كان خيراً من الحسين أمير المؤمنين والحسين بن علي عليهما السلام وما منا إلا مقتول واني والله لمقتول بالسم باغتيال من يغتالني اعرف ذلك بعهد معهود اني من رسول الله ﷺ أخبره به جبرئيل عن رب العالمين عز وجل وأما قول الله عز وجل: ﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا﴾ فإنه يقول: لن يجعل الله للكافر على مؤمن حجة ولقد أخبر الله عزوجل عنه كفار قتلوا النبيين بغير الحق ومع قتلهم إياهم أن يجعل لهم على إنبيائه عليهم السلام سبيلاً من طريق الحجة. عيون أخبار الرضا عليه السلام باب ما جاء عن الرضا عليه السلام في وجه دلائل الأئمة عليهم السلام.والرد على الغلاة والمفوضة.

(١) محمد بن إدريس في آخر (السرائر) نقلا من كتاب محمد بن علي بن محبوب، عن العباس، عن حماد بن عيسى، عن ربعي بن عبدالله، عن الفضيل قال: ذكرت لأبي عبدالله عليه السلام السهو، فقال: وينعلت من ذلك أحد؟ ربما أقعدت الخادم خلفي يحفظ علي صلاتي. مستطرفات السرائر: ١١٠/٦٨.

لقد جاء في الأخبار الصحيحة أنّ النّبيﷺ نام عن صلاة الصبح حتّى أيقظه حر الشمس. وعلّل هذا النوم بأنّ الله عزّ وجلّ فعله بنبيّهﷺ رحمةً بالناس. لئلّا يعيّر النائم عن الصلاة[١].

وهل بعد هذا التصريح من وجه للقول بأنّ علمهم كان حاضراً. والأمر لديهم كان متجلّياً. وأين كانوا من نومهم إلى أن تطلع الشمس؟ أفلا كانوا على علم منه[٢].

---

(١) روى الحسن بن محبوب عن الرباطي عن سعيد الأعرج قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: (ان الله تبارك وتعالى أنام رسول اللهﷺ عن صلاة الفجر حتى طلعت الشمس ثم قام فبدأ فصلى الركعتين اللتين قبل الفجر ثم صلى الفجر، وأسهاه في صلاة فسلم في ركعتين ثم وصف ما قاله ذو الشمالين ولما فعل ذلك به رحمه لهذه الأمة لئلا يعير الرجل المسلم أذا هو نام عن صلاته أو سها فيها فيقال قد أصاب ذلك رسول اللهﷺ.

(٢) الكلام في مسألة سهو النبيﷺ مبسوط في كتب المقالات والكلام ومذهب الشيعة في ذلك نفيه عنهﷺ واجماعهم على ذلك إلا من شذ كالصدوق وشيخه، وقد كتب في ردهما ونفيد ما استند اليه من أخبار آحاد لا توجب علماً ولا عملاً كثير من علمائنا الأعلام وفي مقدمتهم الشيخ المفيد قدس سره والسيد المرتضى وقد كتب أحدهما رسالة مفردة في الرد على الصدوق في هذه المسألة وقد أدرجها بتمامها الحجة المجلسي قدس سره في البحار ج٦ ص ٢٩٧ كما أنه قد فصل الكلام في المسألة واطنب في بيان شذوذ تلك الأخبار التي استند اليها القائلون بالسهو فراجع البحار ج٢ ص٢٨ الى ٢٩٩ وكذلك الحجة السيد عبد الله شبر قدس سره في كتاب حق اليقين ج١ ص٩٣ ومصابيح الأنوار ج٢ ص١٣٣ ولم يختصر رد الصدوق في هذه المسألة على الكتب الكلاميه فحسب بل تجدوه في الكتب الفقهية فراجع.

الطائفة الرابعة:

متى شاء الإمام أن يعلم أعلمه الله تعالى

وهذه الطائفة من الأحاديث اشتملت على نصوص عديدة، وكلها مفصحة وقائلة: بأنّ الإمام متى شاء أن يعلم شيئاً أعلمه الله سبحانه ذلك[١].

وهذه الطائفة يمكن أن تكون الحدّ المعتدل والنمرقة الوسطى، وعندها اجتماع ما اختلف من الأدلّة، وائتلاف ما افترق من الأحاديث، فتحمل تلك الطوائف على أنّ علمهم يكون حاضراً إذا شاءوا، وحاصلاً إذا أرادوا، ولا يكون حضوره دوماً، وحصوله أبداً، بل إنّ تجلي الأُمور وانكشاف الأشياء، عند الإشاءة منهم والإرادة لها.

ومن ثمّ يتضح أنّ ما ظهر منهم من الأقوال والأفعال التي أفصحت عن العلم الحاضر عندهم، والأمر المتجلي لهم، محمول على أنّهم أرادوا علم ذلك الشيء، فأطلعهم تعالى على علمه، فأظهروه بعد تلك الإشاءة.

---

(١) علي بن محمد وغيره، عن السهل بن زياد، عن أيوب بن نوح، عن صفوان بن يحيى، عن ابن مسكان، عن بدر بن الوليد، عن أبي الربيع الشامي، وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن الإمام إذا شاء أن يعلم علم (علِّم). محمد بن يحيى، عن عمران، عن الموسى بن جعفر، عن عمرو بن سعيد المدائني، عن أبي عبيد المدائني، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا أراد الامام أن يعلم شيئاً أعلمه الله ذلك.

(أصول الكافي كتاب الحجة باب أن الأئمة عليهم السلام إذا شاؤوا أن يعلموا علموا. ح ١ ـ ٣).

المؤيدات لهذا الجمع

الأوّل:

استمرارهم عملاً وقولاً على عدم الحضور

إنّ الذي يؤيّد هذا الجمع استمرارهم في الأعمال والأقوال على أن ليس لديهم علم حاضر، ولا أمر منكشف. ولو كانت الأمور متجليه لهم لما رفع الصادق عليه السلام الستر ليعلم هل في البيت أحد يسمع[1]، ولما بقيت لمعة في ظهر الباقر عليه السلام لم يصل

---

(١) عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد عن عبد الله (بن) الحجّان عن أحمد بن عمر الحلبي، عن أبي بصير قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت له: جُعلت فداك إنّي أسألك عن مسألة هاهنا أحدٌ يسمع كلامي؟ قال: فرفع أبو عبد الله عليه السلام ستراً بينه وبين آخر فأطلع فيه ثمّ قال: يا أبا محمّد سَل عمّا بدا لك، قال: قلت: جعلت فداك إنّ شيعتك يتحدّثون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله علَّم عليّاً عليه السلام باباً يفتح له منه ألف باب؟ قال: فقال: يا أبا محمّد علَّم رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام ألف باب يفتح من كلّ باب ألف باب، قال: قلت: ثمّ قال: يا أبا محمّد وأنّ عندنا الجامعة وما يدريهم ما الجامعة؟ قال: قلت: جعلت فداك وما الجامعة؟ قال: صحيفة فيها كلّ حلالٍ وحرام وكل شيء يحتاج الناس إليه حتّى الأرش في الخدش، وضرب بيده إليّ وقال: تأذن إلي يا أبا محمّد؟ قال: قلت: جُعلت فداك إنّما أنا لك فاصنع ما شئت، قال: فغمزني بيده وقال: حتّى أرش هذا كأنّه مغضب، قال: قلت: هذا والله العلم. قال: إنّه العلم وليس بذلك، ثمّ سكت ساعة ثمّ قال: وإنّ عندنا الجفر وما يدريهم ما الجفر؟ قال: قلت: وما الجعفر؟ قال: وعاء من أدم فيه علم ←

إليها الماء عندما اغتسل[١]، ولما أكل الكاظم عليه السلام بيضة قامر بها مولىً له. فلما علم بذلك تقيّأها[٢].

← النبيّين والوصيّين وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل، قال: قلت: إنّ هذا هو العلم، قال: إنّه لعلم وليس بذاك، ثمّ سكت ساعة ثمّ قال: وإنّ عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام وما يدريهم ما مصحف فاطمة عليها السلام، قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرّات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد، قال: قلت: هذا والله العلم، قال: إنّه لعلم وما هو بذلك، ثمّ سكت ساعة ثمّ قال: إنّ عندنا علم ما كان وعلم ما يكون إلى أن تقوم الساعة، قال قلت: جعلت فداك هذا والله العلم، قال: إنّه لعلم وليس بذاك، قال قلت: جعلت فداك فأيّ شيء العلم؟ قال: ما يحدث بالليل والنهار الأمر بعد الأمر والشيء بعد الشيء إلى يوم القيامة.

(أُصول الكافي: كتاب الحجّة، باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة، ح ١، وسائل الشيعة ج ١٩ ص ٢٧٢).

(١) محمد بن يعقوب، عن عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد عن فضالة، عن عبد الله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: اغتسل أبي من الجنابة فقيل له: قد أبقيت لمعة في ظهرك لم يصلها الماء فقال له: ما كان عليك لو سكت؟! ثم مسح تلك اللّمعة بيده. وسائل الشيعة كتاب الطهارة باب عدم وجوب أعلام الغير بخلل في الغسل، وحكم من نسى بعض العضو أو شك فيه.

(٢) وعنهم، عن سهل بن زياد وأحمد بن محمّد جميعاً، عن ابن محبوب، عن يونس بن يعقوب، عن عبدالحميد بن سعيد قال: بعث أبو الحسن عليه السلام غلاماً يشتري له بيضاً؛ فأخذ الغلام بيضة أو بيضتين فقامر بها، فلمّا أُتي به أكله، فقال له: إنّ فيه من القمار، ←

الثاني:

إقدامهم على القتل وشرب السمّ

ومما يؤيّد أنَّ علمهم ليس بحاضر دوماً، أنّهم كانوا يقدمون على القتل وشرب السمّ، ولو كانوا عالمين بالحال قبل الوقوع في تلك الحبائل، لكان من الإلقاء للنفس في التهلكة. وهم أجلُّ شأناً وأعلى منزلة من أن يقدِموا على هذا الإلقاء.

الثالث:

الغلوّ[1]

← قال: فدعا بطشت فتقيأ فقاه.

وسائل الشيعة، الباب ٣٥، تحريم كسب القمام حتّى الكعاب والجوز والبيض، ح ٢.

(١) الغلوّ في اللغة يقول ابن منظور: «وفي التهذيب: قال بعضهم: غلوت في الأمر غلواً، وغلانية إذا جاوزت فيه الجدّ، وافرطت فيه.. وغلا في الدّين، والأمر يغلو غُلوّاً: جاز وحدّه» لسان العرب، ابن منظور، مادة «غلا». أمّا في الاصطلاح فقال الشهرستاني: «الغلاة اسم على اولئك الذين غلوا في حقّ ائمتهم حتى أخرجوهم عن حدود الخليقة، وحكموا فيهم بأحكام الالهيّة، فربّما تشبّهوا واحداً من الأئمة عليهم السلام بالاله، وربّما شبّوا الإله بالخلق. وهم على طرفي الغلوّ والتقصير، وإنّما نشأت شبهاتهم عن مذاهب الحلوليّة، ومذاهب التناسخيّة، ومذاهب اليهود والنصارى، إذ اليهود شبّهوا الخالق بالخلق، والنصارى شبّهت الخلق بالخالق، فسرت هذه الشبهات في أذهان الشيعة الغُلاة، حتى حكمت بأحكام الالهية في حقّ بعض الأئمّة عليهم السلام». الملل والنحل، أبو الفتح محمد الشهرستاني.

إنّنا لو اعتقدنا بأنَّ النّبي والأئمّة عليهم السلام حاضرو العلم بالأشياء كافّة. ما سبق منها وما هو آت إلى يوم الحشر. بل حتّى بما هو في السماء من خبر. وبما بعد يوم القيامة من أثر. الأمر الذي يقف عنده اللبيب مبهوتاً. ويبقى لديه العارف مذهولاً، ولأمكن أن يقال بأنَّ هذا الاعتقاد غلوّ فيهم. وخروج عن النمرقة الوسطى في الاعتقاد بهم. ولكن لو قلنا بأنَّ علمهم وحضوره راجع إلى الإرشاد منهم. فإذا شاءوا أعلمهم تعالى بما أرادوا علمه لم يكن ذلك غلوّاً. ولا خروجاً عن الحد المعتدل.

الجواب عن الأوّل

قد بينا في مقدمات هذه الرسالة الفرق بين علمه تعالى وعلمهم[1]، وأنَّ علمه تعالى عين ذاته، وأنَّ علمهم صفة خارجة عن الذات زائدة عليها وأنّه موهوب منه جلّ شأنه، وهذا لا ينافي أنّهم لا يعلمون الغيب بالذات بل إنّما يعلمونه بالتعليم والمنحة منه تعالى.

على أنَّ التخصيص للكتاب بالسنة جائز وارد. وقد جاء في المقام قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[2] وكان والله محمّد مّمن ارتضاه فالرواية بعد التخصيص[3] شاهد على أنَّ النّبي كان يعلم الغيب بما أعلمه الله عزّ وجلّ.

---

(١) راجع صفحة ٢٠.

(٢) سورة الجن: ٢٧.

(٣) التحصيص وهو: عبارة عن اخراج بعض أفراد موضوع الحكم العام بواسطة القرينة الدالة على ذلك، فلولا القرينة لكان الحكم العام الواقع على الطبيعة شاملاً لتلك الأفراد. فالتخصيص كالتقييد، غايته أن التخصيص يطلق في حالات إخراج بعض أفراد موضوع الحكم العام والذي ثبت عمومه بواسطة الوضع. المعجم الأصولي ج١ ص٤٦٨.

وأمّا حادثة الجارية، وتظاهره عليه السلام بأنّه لا يعلم أين هي من بيوت الدار، وإنكاره على من يقول بأنّهم يعلمون الغيب، فلا يخفي شأنه على ذي بصيرة، لأنّهم أعلم الناس بالناس وأعرفهم بضعف عقولهم، وعدم تحمّلهم. فلو أنّهم كانوا يتظاهرون دوّماً بما منحوا من ذلك العلم لاعتقد بهم أهل الضعف أنّهم أرباب أو غير ذلك ممّا يؤول إلى الشرك، ولقد اعتقد بهم ذلك كثير من الناس من البدء حتّى اليوم، على أنّهم كانوا ينفون عنهم تلك المقدرة وذلك العلم أحياناً، وليسوا بأهل السلطة ليقيموا أود الناس بالتأديب بعد الوعظ والزجر، كما سبق لأمير المؤمنين عليه السلام مع أصحاب ابن سبأ.

بل كانوا غرضاً لفراعنة أيّامهم، وهدفاً لنبالهم، ولم يكونوا بذلك المظهر عندهم؛ فلو تظاهروا بتلك الخلّة كيف ترى يحمل الحسد أُولئك الطواغيت على الفتك بهم، وهم المحسودون على ما آتاهم الله من فضله، وأي حائل يحجز عما يريدونه بهم وبأوليائهم.

وإنّهم لم يطلعوا أعداءهم ولا سواد أوليائهم على جميع ما رزقوا من ذلك الفضل، وقد لاقوا من المصائب والنوائب، والحوادث والكوارث، والوقائع والفجائع ما تسيخ منه شمّ الجبال، وتشيب من هوله الرضّع، ولو لم يكونوا رزقوا ذلك الجلد والصبر على قدر ما رزقوا من الفضل لما استطاع أن يجمل ـ ما تحمّلوه ـ بشر، وهل مات أحد منهم حتف أنفه دون أن يتجرّع غصص السمّ النقيع، أو يصافح حدود الصوارم، ويعتنق قدود الرماح، هذا فوق ما يرونه من الهتك للحرمات، وتسيير العقائل والسبّ والسلب؛ والغصب للحقوق والتلاعب بالدين، وتضييع أحكام الشريعة.

نعم! لا يظهر بتلك المنح الإلهية جميعها إلّا الإمام المنتظر عجل الله فرجه، لأنّه لا يخشى ذلك التسرب إلى ضعاف البصائر، لو صارح بما وُهب من الفضل، لقدرته على الردع والتأديب، ولا يخاف حسد حاسد أو سطوة ظالم، وهو صاحب السلطة

والسيف.

على أنَّ في ذيل تلك الرواية ما يفصح بتلك السعة، وينبىء عن ذلك التعميم والحضور، فإنَّه عليه السلام قال: «**علم الكتاب والله كلّه عندنا، علم الكتاب والله كلّه عندنا**»[1] والكتاب كما أنبأ عنه الجليل جلّ وعلا جاء بياناً لكلّ شيء.

---

(١) أحمد بن محمد، عن محمد بن الحسن، عن عبّاد بن سليمان عن محمّد بن سليمان عن أبيه عن سدير قال: كنت أنا وأبو بصير ويحيى البزّاز وداود بن كثير في مجلس أبي عبد الله عليه السلام إذ خرج إلينا وهو مغضب، فلمّا أخذ مجلسه قال: يا عجباه لأقوام يزعمون أنّا نعلم الغيب، ما يعلم الغيب إلّا الله عزّ وجلّ، لقد هممتُ بضرب جاريتي فلانة فهربت منّي فما علمت في أيّ بيوت الدار هي؟ قال سدير: فلمّا أن قام من مجلسه وصار في منزله، دخلتُ أنا وأبو بصير وميسر وقلنا له: جعلنا فداك سمعناك وأنت تقول كذا وكذا في أمر جاريتك ونحن نعلم أنّك تعلم علماً كثيراً ولا ننسبك إلى علم الغيب، قال: فقال: يا سدير ألم تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قال: فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾، قال قلت: جُعلت فداك قد قرأته قال: فهل عرفت الرجل؟ وهل علمت ما كان عنده من علم الكتاب؟ قال: قلت: اخبرني به، قال: قدرُ قطرة من الماء في البحر الأخضر فما يكون ذلك م علم الكتاب. قال: قلت: جعلت فداك ما أقلّ هذا، فقال: يا سدير ما أكثر من هذا لمن ينسبه الله إلى العلم الذي أخبرك به، يا سدير فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾، قال: قلت: قد قرأته جعلت فداك، قال: فمن عنده علمٌ من الكتاب أفهم أم من عنده علم الكتاب بعْضُهُ؟ قلت: لا، بل من عنده علم الكتاب كلّه، قال: فأومى بيده إلى صدره ←

الجواب عن الثاني

أمّا الجواب عن الطائفة الثانية التي صرّحت بوقوع السهو من النبيﷺ ومن الأئمّة المعصومينعليهم السلام من الجهة الفقهية، فمعارضة بالأخبار الخاصّة. فأمّا أن تحمل على التقيّة أو تطرح لضعفها سنداً ومتناً عن مقاومة ما دلّ على نفي السهو والنسيان من النّبي والإمام، ولعدم العامل بها صريحاً غير الصدوق في فقيهه.

وأمّا من جهة أُصول الدين، فلا يمكن العمل بالأخبار حتّى لو صحت سنداً واتضحت دلالة إذ ليس المعتبر إلّا حكم العقل، والعقل يمنع من صدور أمثال ذلك عن المعصوم المقتدى، وإنَّ صدور أمثال ذلك لا يوافق مقام النبوّة ومنزلة الإمامة بل هو حطّ من تلك الكرامة، ونقص من ذلك المنصب الإلهي.

ولو أردنا أن نجاري الخصم في جواز ذلك منهم فقهاً وعقلاً، فالأدلّة الخاصّة تأبي من اتصافهم بما تحملته هذه الأحاديث، وكفى منها ما سبق من تلك الطوائف سوى الأخبار التىنفت خصوص السهو والنسيان عنهم، وإنَّ الطبع يمج تلك النسب ويأبى عن قبول هاتيك الدعوى فضلاً عن إباء العقل والفقه لها.

الجواب عن الثالث

وأمّا الجواب عن هذه الطائفة، فيعلم من الجواب عن الثانية، وأمّا كون نوم النّبيﷺ رحمة للناس لئلّا يعيروا بنومهم بعد طلوع الشمس، فتعليل غريب. **نعم!** هو أنسب بالحزازة بنومه عن الصلاة.

وهل اللّائق بمثل تلك المنزلة الجليلة والمقام الرباني، وبمن تنام عينه ولا ينام

← قال: وعلم الكتاب والله كلّه عندنا، علم الكتاب والله كلّه عندنا.

(أُصول الكافي: كتاب الحجّة باب نادر فيه ذكر الغيب، ح٣، بحار الأنوار: ج١٦ ص١٩٧).

قلبه، وبمن لا تغمض عينه إلّا خلسة، أن ينام عن الفريضة، حتّى يوقظه حرّ الشمس؟

ولو ارتكبه أقل أرباب العبادة والتهجد لكان عاراً وحزازة. فكيف بسيّد الأنبياء؟

وهل إنحصر رفع التعيير عن النيام إلّا بنوم النبيﷺ؟

أو ليس هذا من دفع القبيح بالأقبح؟

أفلا يكفي البيان والإعلان باللسان في دفع التعيير عمن ينام؟

الجواب عن الرابع

إنَّ هذه الطائفة إنَّما صرَّحت بأنَّ علمهم موقوف على الإشاءة منهم ولكن لا دلالة فيها على أنَّهم لا يشاءون إلّا في وقت دون آخر، فأيّ صراحة فيها تعارض ما دلّ على أنّهم يشاءون أبداً ويريدون دوماً؟ فتكون مؤيدة للعلم الحضوري على هذا البيان.

على أنَّه إذا كان علمهم موقوفاً على الإرادة منهم فلم لا يريدون أبداً علم الأشياء؟ ومن الذي لا يريد أن يكون علمه بأعلى مراتب الكمال، وهو بإختياره وإرادته؟ فإنّ الناس تريد حصول المراقي الرفيعة من الفضيلة ولا تكون إلّا بالكد والجد والتعب والنصب، فكيف يمتنع أحد عن تحصيلها وهي بالرغبة والإشاءة من دون كلفة وجهاد؟ ولم لا يحصل على تلك الرتب السامية وهو يعرف ما الفضيلة، ويعلم هاتيك الدرج العلية؟

الجواب عن المؤيّد الأوّل

استمرارهم على عدم العلم الحاضر:

أمّا دعوى استمرارهم في الأقوال والأعمال على عدم العلم الحاضر فشيء لا يمكن دفعه في الجملة، وعلى نحو الموجبة الجزئيّة، ولكن تظاهرهم بالحاضر أكثر، ويشهد له في القول ما سبق من تلك الطوائف، وفي العمل ما وقع لهم من الإخبار بالملاحم والمغيّبات، والأخبار عما يعلمه الناس عما سيعملونه وعن وساوس الصدور، ومناجاة النفوس، وهذا شيء أصبح من الجلاء والظهور بحيثُ يعد البرهان عليه فضولاً، والإستشهاد له يكون هذراً، وهذه «مدينة المعاجز»، وقد ذكرت لكلّ إمام من أئمّة أهل البيت عليهم السلام من أمثال ما أشرنا إليه الجمّ الغفير، بل وهذا «نهج البلاغة» أمام باصرتك فيه من ذكر الملاحم، والأخبار بالمغيّبات الشيء الكثير.

لربما يكون تظاهرهم أحياناً بعدم العلم هو من العلم الحاضر نفسه، لعلمهم بزنة عقول الناس ومقادير مداركهم، وعسى أن يكون من حضر أو سمع أو يسمع لا يأمنون عليه من الشذوذ في العقيدة، وقوله فيهم بما ليسوا فيه، فيظهرون بعدم العلم دفعاً لذلك المحذور.

أو يخشون من أعدائهم إذا بلغ مسامعهم ذلك القول أو العمل؛ فيحملهم على التنكيل بهم أو بأوليائهم. وقد أشارت كثير من تلك الأحاديث إلى أنّهم لا يستطيعون أن يعلنوا بكل ما أوتوا من العلم، فإنّهم قالوا: **«لو كان لألسنتكم أوكية لحدّثنا كلّ إمرىء بما له وعليه»**[1].

---

(١) عدّة من أصحابنا عن أحمد بن محمّد عن الحسين بن سعيد عن فضالة بن أيّوب ←

وقالوا: «لو وجدنا مستراحاً لقلنا والله المستعان»[١].

وقالوا: «إنَّ العالم لا يقدر أن يخبرك بكلّ ما يعلم»[٢].

← عن أبان بن عثمان، عن عبد الواحد بن المختار قال: قال أبو جعفر عليه السلام قال: لو كان لألسنتكم أوكية لحدّثت كلّ امرىءٍ بما له و عليه.

(أُصول الكافي: كتاب الحجّة، باب أنّ الأئمّة عليهم السلام لو ستر عليهم لأخبروا كلّ إمرئٍ بما له و عليه، ح ١).

(١) علي بن محمّد، ومحمد بن الحسن عن سهل بن زياد عن القاسم بن الربيع، عن عبيد بن عبد الله بن أبي هاشم الصيرفي، عن عمرو بن مصعب عن سلمة بن محرز قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنّ من علم ما أُوتينا تفسير القرآن وأحكامه و علم تغيير الزمان وحدثانه إذا أراد الله بقوم خيراً أسمعهم ولو أسمع من لم يسمع لولّى معرضاً كأن لم يسمع، ثمّ أمسك هينئة ثمّ قال: ولو وجدنا أو عية أو مستراحاً لقلنا والله المستعان.

(أُصول الكافي: كتاب الحجّة، باب أنّه لم يجمع القرآن كلّه إلّا الأئمّة عليهم السلام، وأنّهم يعلمون علمه كلّه، ح ٣).

(٢) الحسن بن علي بن شعبة في تحف العقول: عن أبي جعفر محمّد بن النعمان الأحول قال: قال لي الصادق عليه السلام: إنّ الله عزّ وجلّ قد عيّر أقواماً في القرآن بالإذاعة، فقلت له: جُعلت فداك، أين؟ قال: قال: قال: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾.

ثمّ قال: المذيع علينا سرّنا كالشاهر بسيفه علينا، رحم الله عبداً سمع بمكنون علمنا، فدفنه تحت قدميه، يابن النعمان إنّي لأُحدِّث الرجل منكم بحديث فيتحدّث به عنّي، فأستحلّ بذاك لعنته والبراءة منه، فإنّ أبي كان يقول: وأيّ شيء أقرُّ للعين من التقيّة، إنّ التقيّة جُنّة المؤمن ولولا التقيّة ما عُبد الله، وقال الله عزّ وجلّ: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، يابن النعمان إنّ ←

وقال أميرالمؤمنين عليه السلام: **«إنّ ها هنا علماً جماً لو وجدت له حَمَلة»**[1]. فعدم تحمّل الناس لعلومهم، والحذر من الشذوذ في المعتقد فيهم، والخوف من سطوات أهل الظلم والجور، وغير ذلك مما هم أعلم به، هو الذي دعاهم إلى ذلك لاظهور أحياناً بعدم العلم الحاضر.

على أنّه يمكن الجواب عن كلّ حادثة من تلك الحوادث التي وقعت منهم، ودلت على عدم العلم. فأمّا رفع الستر فلعله كان لاطمئنان أبي بصير وكيف يعلم بخبيئة أبي بصير حين دخل عليه ولا يعلم بما وراء الستر.

← المذيع ليس كقاتلنا بسيفه، بل هو أعظم وزراً، بل هو أعظم وزراً، بل هو أعظم وزراً. يابن النعمان، إنّ العالم لا يقدر أن يخبرك بكلّ ما يعلم، لأنّه سرّ الله الذي أسرّه إلى جبرئيل، وأسرّه جبرئيل إلى محمّد صلى الله عليه وآله وأسرّه محمّد صلى الله عليه وآله إلى علي، وأسرّه علي عليه السلام إلى الحسن، وأسرّه الحسن عليه السلام إلى الحسين، وأسرّه الحسين عليه السلام إلى علي، وأسرّه علي عليه السلام إلى محمّد، وأسرّه محمّد عليه السلام إلى مَن أسرّه عليه السلام، فلا تعجلوا فو الله لقد قرب هذا الأمر ثلاث مرّات فأذعتموه فأخّره الله، والله ما لكم سرّ إلّا و عدوّكم به منكم. (مستدرك الوسائل: ج ١٢ ص ٢٩٠).

(١) قال أمير المؤمنين عليه السلام: يا كميل «ما إنَّ لعلماً جماً (واشار بيده الى صدره) لَوْ أَصبْت لهُ جملة. بلى أَصَبْتُ لقِناً مَامونٍ عليه مُستعمِلاً الة الدّينِ للدّنْيا ومُسْتَظْهِراً بنعم الله على عبادهِ وبحُججهِ على أوليائه أو مُنقاداً لحملة الحق لابصيرة له في امنائِهِ ينقدح الشك في قلبه لاول غارضٍ من شبهةٍ الا لاذا ولا ذاك! أو منهوماً باللذة سليب القياد للشهوة أو مغرماً بالجمْعِ والادخار ليْسا مِنْ دعاةِ الدين في شيءٍ، اقرب شيءٍ شبهاً الانعام السائِمَة اكذلك يموت بموْتِ حامِليه» انظر نهج البلاغة كلمة ١٤٧ كلمات قصار، موسوعة الامام علي بن أبي طالب ٧ باب المنزلة العلميّة، ج ١، ص ٣٨.

وأمّا بقاء اللمعة، فلعلها كانت من تخيّل الناظر. ورواية الصادق عليه السلام لها من ذلك الشأن الذي أشرنا إليه أو لتنبيه الناظر أن ليس عليه من بأس إذا لم يخبر، وإلا كيف تبقى لمعة والغسل كان ارتماسياً، وكيف لا يستولي الماء على جميع بدن المرتمس.

وأمّا القيء فلعله كان مجاراة للمخبر، ولو أصر الإمام على أنَّ البيضة لم تكن مما اكتسب من القمار لاتهم المخبر الإمام، أو غير ذلك مما يكون من المخبر لتصديق خبره.

وبالجملة إنّنا لا ننكر أنّهم قد يتظاهرون أحياناً بعدم العلم قولاً أو فعلاً، إلّا أنَّ لذلك وجوهاً جمة لا تخفى على البصير، فلا توجب أن تحمل تلك الأدلّة الصريحة بالعلم الحاضر وتصرف عن وجهها لبعض تلك الظواهر.

الجواب عن المؤيّد الثاني

إقدامهم على القتل وشرب السمّ

وأمّا أنّهم لا يعلمون بما يجري عليهم، ولو علموا لم يقدموا، لأنّه من الإلقاء في التهلكة، فهو ينافي صريح الأخبار عنهم في هذا الشأن وأنّهم أقدموا على علم ويقين.

فهذا الصادق عليه السلام يقول: **«أي إمام لا يعلم ما يصيبه وإلى ما يصير: فليس ذلك بحجّة لله على خلقه»**[1].

وهذا الكاظم عليه السلام، كيف أعلم السندي والقضاة عن سقيه السمّ وعما ستتقلب عليه حاله إلى ساعة موته.

وهذا الرضا عليه السلام. كيف أجاب السائل الذي طرأت عليه الأوهام والشكوك في حادثة أمير المؤمنين عليه السلام. حين قال له: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد عرف قاتله والليلة التي يقتل فيها والموضع الذي يقتل فيه. وقوله لما سمع صياح الأوز في الدار: **«صوائح تتبعها نوائح»** وقول أُمّ كلثوم: **«لو صلّيت الليلة داخل الدار، وأمرت غيرك أن يصلّي بالناس؟»** فأبى عليها، وكثرة دخوله وخروجه تلك الليلة بلا سلاح، وقد عرف عليه السلام أنّ ابن ملجم قاتله بالسيف، كان هذا يجوز أو يحل تعرضه؟ فقال الرضا عليه السلام: **«ذلك كان كلّه، ولكنّه خير تلك الليلة، لتمضي مقادير الله عزّ وجلّ»**[2].

---

(١) أُصول الكافي، الكتاب الحجّة، باب أنّ الأئمّة عليهم السلام يعلمون متى يموتون وأنّهم لا يموتون إلّا باختيار منهم، ح ١.

(٢) أُصول الكافي، كتاب الحجّة، باب أنّ الأئمّة يعلمون متى يموتون، وأنّهم لا يموتون إلّا باختيار، ح ٤.

وهكذا كان الجواب منهم عليهم السلام عن شأن حادثة الحسين عليه السلام إلى كثير من أمثال هذه الأحاديث والأجوبة. ولكن أجمعها لرفع هاتيك الشبه، وأصرحها في الغرض خبر ضريس الكناسي، فإنّه قال: سمعت أبا جعفر يقول وعنده أُناس من أصحابه: **«عجبت من قوم يتولّونا ويجعلونا أئمّة ويصفون أنّ طاعتنا مفترضة عليهم كطاعة رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ يكسرون حجتهم، ويخصمون أنفسهم بضعف قلوبهم، فينقصونا حقّنا ويعيبون ذلك على من أعطاه الله برهان حق معرفتنا والتسليم لأمرنا أترون أن الله تبارك وتعالى افترض طاعة أوليائه على عباده، ثم يخفي عنهم أخبار السماوات والأرض، ويقطع عنهم مواد العلم فيما يرد عليهم ممّا فيه قوام دينهم».**

فقال له حمران: جعلت فداك أرأيت ما كان من أمر قيام علي بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام وخروجهم وقيامهم بدين الله عزّ ذكره وما أصيبوا من قتل الطواغيت إيّاهم والظفر بهم حتّى قتلوا وغلبوا؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: **«يا حمرا إنَّ الله تبارك وتعالى قد كان قدَّر ذلك عليهم وقضاه وأمضاه وحتّمه على سبيل الإختيار»**، «وفي نسخة الإختبار»، ثمّ أجراه، فبتقدّم علم إليهم من رسول الله صلى الله عليه وآله قام علي والحسن والحسين، وبعلم صمت من صمت منّا. ولو أنّهم يا حمران حيث نزل بهم ما نزل من أمر الله عزّ وجلّ، وإظهار الطواغيت عليهم، سألوا الله عزّ وجلّ أن يدفع عنهم ذلك، وألحوا عليه في طلب إزالة ملك الطواغيت وذهاب ملكهم إذاً لأجابهم ودفع ذلك عنهم، ثمّ كان انقضاء مدة الطواغيت وذهاب ملكهم أسرع من سلك منظوم انقطع فتبدّد، وما كان ذلك الذي أصابهم يا حمران لذنب اقترفوه، ولا لعقوبة معصية خالفوا الله فيها، ولكن لمنازل وكرامة من الله أراد أن يبلغوها، فلا تذهبنَّ بك المذاهب فيهم[1].

---

(١) أُصول الكافي، كتاب الحجّة، باب أنّ الأئمّة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنّه لا

وحقاً ألا تذهب بالعارف البصير المذاهب يمنةً ويسرة، بعد هذا البيان الجلّي والحجّة الناصعة، على أنَّ في حجج العقل السابقة، كفاية وقناعة، كيف والأحاديث عنهم في أمثال هذا حجّة لا تحصى وكثيرة لا تستقصى.

الجواب عن المؤيّد الثالث

الغلوّ

ليس كلّما يستعظمه المرء يكون غلوّاً، وكلّما يستكبره الإنسان يكون خروجاً عن الحدّ الأوسط، وإفراطاً في الاعتقاد.

إنَّ الغلوّ إنّما يكون فيما إذا استلزم القول والاعتقاد فيهم إخراجهم عن ناموس البشر، وجعلهم أرباباً، أو شركاء للخالق الرازق سبحانه في خلق أو رزق، أو ما سواهما ممّا اختص به الله جلّ شأنه. ومهماً اعتقدنا فيهم من سعة العلم، أو ما سوى ذلك من الصفات الغالية، فلا نعتقد فيهم إلّا أنّهم بشر مخلوقون مربوبون مرزوقون على سنن سائر البشر.

وأمّا الاعتقاد فيهم أنَّ الله منحهم مواهب جليلة، وصفات نبيلة، لا يبلغ مداها ولا يُعرف كنهها، فليس من الغلوّ في شيء، إذ لا يلزم من ذلك خروجهم عن البشريّة، أو مشاركتهم لله سبحانه في شيء من صفاته الخاصّة.

ومهما اعتقدنا فيهم من شيء فلا نبلغ فيه مراقيهم القدسيّة الرفيعة ولو لم يعلموا إنّنا لا نصل إلى تلك الرتب السامية التي يعرفونها لأفسهم، لما قالوا لنا: **«نزهونا عن الربوبية وقولوا فينا ما شئتم»**[1] لعلمهم بأنّنا مهما سبق لنا فيهم من قول

← يخفى عليهم عليهم السلام، ح ٤.

(١) ولا يخفى أنه أراد الاستشهاد بمعنى الرواية الفظها والفظها: قال أمير المؤمنين عليه السلام

وكان دون القول في الله الخالق تعالى، فلا يكون خروجاً عن مستواهم وغلواً فيهم.

← (اياكم والغلو فينا، قولوا: عبيد مربوبون وقولوا في فضلنا ما شئتم). الخصال: ٦١٤ / ١٠. وتحف العقول عن آل الرسول ﷺ ابن شعبة الحراني: ١٠٤ المطبعة الحيدريه ـ النصف الأشرف ط ٥ وغرر الحكم: ٢٧٤٠.

المؤيّدات لعلمهم الحضوري

ثمّ إنَّ هناك مؤيّدات للقول بحضور علمهم وصحّة الجمع بين أدلّة الجانبين، وتأويل النافي منهما، على نحو ما سبق، وهي أُمور جمة نستطرد شيئاً منها.

الأوّل:

علمهم منّة منه وهي تقضي بالحضوري

إنّ ممّا امتنَّ به سبحانه على النّبي وأهل بيته عليهم السلام، العلم سوى ما منحهم به من سائر الصفات الكمالية، والفضائل العظيمة، وإنَّ مقتضى الإمتنان والمنحة من ذلك القادر الذي لا يعجزه شيء أن يكون علمهم حضورياً، وتقييده بالإشاءة والإرادة خلاف التعميم بالمنة، ولأي شيء لا تكون منته عليهم على قدر ما كانوا عليه من الملكات القدسيّة، وعلى قدر تفضّله وألطافه... أفهل تحد قدرته ولطفه وفضله.

الثاني:

إنَّ سائر صفاتهم غير مقيّدة

إنَّ الله جلّ لطفه منح النبي وأوصياءه عليهم السلام بصفات جليلة ومواهب سنية لا تجارى ولا تبارى، ولم يجعل لتلك الخصال الجمّة حدّاً ولا قيداً، ولم يحصرها على دائرة، ولم يقصرها على زمن. فلأي وجه إذاً نقصر علمهم دونها. ونحصره في دائرة خاصة سواها؟ فلو كان استعظام علمهم واستكبار شأنه، حدا ببعض الناس إلى

تضييق دائرته ضيقاً منهم، وعدم تحمل منهم لتلك السعة، فلِمَ لا يكون ذلك أيضاً حاملاً لهم على تحديد سائر صفاتهم، وتضييق خصالهم.

الثالث:

الحضوري أبعد عن عصيان الناس وأقرب إلى طاعتهم

إنَّ الناس لو علموا بأنَّ الإمام يعلم سرّهم ونجواهم، وما يقترفون من عصيان؛ ويأتون من طاعة، وأنَّه يستطيع على إخبارهم بالشأن، وردعهم عن الموبقات إذا أصابوها، وحثهم على ازدياد الطاعات إذا ارتكبوها، لكان ذلك أبعد عن عصيانهم، وأقرب منهم إلى الطاعة.

الرابع:

حاجة الناس إلى عالم حاضر العلم

إنَّ الناس في حاجة إلى عالم يكشف لهم عما يعلمون ليقربهم إلى الطاعة، ويبعدهم عن المعصية. ولما كان النبي وأوصياؤه أهلاً لأن يمنحهم الجليل تعالى بتلك الكرامة، والناس في حاجة لها، فلأي شيء لا يفيض عليهم ذلك الغمر، مع عدم المفسدة في ذلك الفيض، بل ووجود المصلحة به...؟

الخامس:

الحضوري ممكن وقام الدليل عليه

لا ريب في أنَّه من الممكن أن يكون علمهم حضورياً، إذ لا دليل يدلّ على إمتناعه. فأيّ مانع من الذهاب إليه والزعم به، وقد قامت البراهين المتضافرة، والحجج المتكاثرة، على صدوره ووقوعه، على ذلك النحو من الحضور، وذلك

السمت من الحصول، فإن ركني الوجوب في القول به ـ وهما الإمكان والوقوع ـ قد وُجدا ولُمسا عن يقين وخبره. فأيّ مانع بعد أن اتّفق الركنان من الاعتقاد بالحضوري والمصير إليه.

السادس:

لو لم يكن علمهم حاضراً لجاز إن يوجد من هو اعلم منهم

لو قلنا بأنَّ علمهم غير حاضر لديهم، لجاز أن يكون هناك من هو أعلم منهم بالأمر الذي يقع أو يسألون عنه. ولا يجوز أن يكون أحد أعلم من الإمام في وقته في شيء من الأشياء.

أمّا استلزم عدم الحضوري وجود الأعلم فأمر بديهي، وذلك لأنَّ جزئيّات الموضوعات الخارجيّة لابدّ وأن يكون هناك من يعرفها كبنوة زيد لعمرو، أو زنا خالد بهند. فلو سئل الإمام عنها، وكان غير عالم بها واتفق وجود العالم بها، فقد وجد حينئذ في الناس الأعلم من الإمام، ولو في الموضوعات الخارجيّة.

السابع:

جهلهم يستلزم السهو والنسيان وغيرهما أحياناً

إنّنا لو قلنا بأنّهم لا يعلمون بالموضوعات الصرفة، لجاز عليهم السهو والنسيان فيها، بل لوقع منها قطعاً، بل لجاز عليهم أيضاً حرمان المستحق وإعطاء من لا يستحق، بل لكثر منهم الخطأ في الشؤون الخارجيّة، وتفويت الواقع أحياناً، لأنَّ هذه شؤون لازمة للجهل لا محالة، ولا ينفك عنها البشر. وأي منقصة أكبر من ذلك للأمام، وهو المنزّه عن النقائص.

ولو كان ذلك واقعاً منهم، لحكي ونقل على طول الزمن وكثرة الأئمّة، وللزم من

حدوث هاتيك الأمور منهم المفاسد الكثيرة، واختلال بعض النظام، إلى ما لا يحصى من النقائص والمفاسد، لوجوزنا على الإمام الجهل.

الثامن:

جهلهم يستلزم الحاجة للناس

لا شكّ في أنّهم يكونون محتاجين إلى الناس في معرفة الموضوعات الصرفة لو قلنا بأنّهم غير عالمين بها، لاحتياج الجاهل إلى العالم فيها يجهل، وكيف يحتاجون إلى تعليم أحد، وهم في غنىً عن البشر في العلم، وكيف يكون حجّة على من هو أعلم منه، وعلى من هو معلمه. فهو مع استلزام وجود الأعلم، واحتياجه إلى المعلِّم سقوط حجيته عليها، ولابدّ أن يكون الإمام الحجّة على كل أحد، وقوله الفصل في كل شيء. وهذا لا يجامع الجهل.

التاسع:

جهلهم يستلزم أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر

إنَّ للجهل لوازماً كثيرة، وفوق ما سبق، نجد أنَّهم لابدّ أن يقع منهم ما يخالف الواقع من إرتكاب المنكر، وترك المعروف فيجب عندئذ إذا صدر هذا منهم أن يؤمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر. وأي إمام من يجب أن يؤمر بالمعروف، وينهى عن المنكر.

العاشر:

الجهل لازمه فعل ما يجب معه القصاص

وهذا أيضاً من لوازم الجهل، إذ يجوز عليهم الخطأ في الأقوال والأعمال مع

الناس. فلو كان الإمام مبسوط اليد وضرب من لا يستحقّ الضرب، أو اقتصّ ممّن لا يجب عليه القصاص، لوجب أن يطيع للاقتصاص منه، وكيف يكون إمام وللناس أن يقتصوا منه؛ ويكون لهم عليه حق في ماله أو بدنه.

وهذا بعض المؤيّدات للعلم الحضوري واستلزام الجهل بالموضوعات الصرفة، من اللوازم التي ينزه عنها الإمام.

جملة القول

وجملة القول إنّه لو لم يرد عن الأئمّة الميامين، ما يشهد لعلمهم الحضوري من الأفعال والأقوال، والآثار والأخبار، لكان في حكم العقل دلالة كافية، وبرهان نيِّر؛ فإن العقل يرى أنّ اللطيف جلّ شأنه يجب عليه أن يجعل حجّة بينه وبين عباده، يقوم بتبليغ أحكامه، وبيان نظامه، وذلك الحجّة جامع لجميع صفات الكمال، وعارٍ عن جميع خصال النقص، ولا يكون فيه ما يجعله عرضة للإنتقاص، ومسرحاً للتوهين ومحلاً للانتقاد. بل يجب أن يكون المنزَّه عن النقائص في الخلق والخُلق، ليصلح أن تقوم به الحجّة، ولا تكون لأحد عليه حجّة أو تطاول في فضل أو علم.

وأين هذا من القول بجهلهم بالموضوعات الصرفة التي تؤول بهم إلى تلك اللوازم السيّئة، والأعمال الممقوتة؟ وكيف تتفق تلك الخلال اللازمة مع أغراض ذلك الحكيم اللطيف، وألطاف ذلك القدير العليم.

وكيف يأمر جلّ شأنه، باتباع من يجوز عليه الخطأ والغلط، ويحذر من يخالفه من لا يؤمن عثاره؟ وكيف يوجب الطاعة والتسليم لمن يسوغ سهوه ونسيانه، والفشل بجهله، ويزجر عن الإعتراض على من يخاف من سقطاته، ويخشى من هفواته...؟

أفيجوز على الحكيم أن ينصب علماً للناس مَن هاتيك شؤونه، وهذه صفاته؟؟.

شبهات بعض القائلين

بعدم العموم والردّ عليها

هناك بعض الشبهات لبعض الأعلام، دعتهم إلى القول بعدم التعميم لعلمهم وعدم الحضورية له في الجميع، أحببنا سطرها، وبيان ما فيها، لئلّا تبقى شبهة في المقام لم نقم بدفعها، وإبداء الملاحظة عليها.

الشبهة الأولى:

سهو النبيّ رحمةً للأُمّة

علّل الشيخ الصدوق(طاب ثراه) في فقيهه في كتاب الصلاة «باب السهو»[1] بأنّ سهو النّبيﷺ ليس كسهونا من الشيطان، بل هو إسهاء من الرحمن، لمصلحة الترحّم على الأُمّة، لئلّا يعيِّر المسلم الساهي والنائم عن صلاته؛ ولئلّا يتوهّم فيه الربوبيّة، وليعلم الناس حكم السهو متى سهواً.

وجوابه ـ أوّلاً: بأنّ سهو النّبيﷺ منقصة له، ويشين عليه، ولا يدفع العار عن الناس، بما يجلب العارِ إلى سيّد الرسلﷺ المنزّه عن كلّ نقص.

وثانياً: بأنّ المناقص في الناس كثيرة في الأخلاق والخلقه، فمقتضى هذه

---

(١) إنّ الغُلاة والمفوضّة لعنهم الله ينكرون سهو النّبيﷺ ويقولون: لو بان أن يسهوعليه السلام في الصلاة لجاز أن يسهو في التبليغ لأنّ الصلاة عليه فريضة كما أنّ التبليغ عليه فريضة. (من لا يحضره الفقيه ١: ٣٠٩.

العلّة أن يجعل الله تلك المناقص فيه دفعاً للعار عن الناس فيجعله سيِّء الخلق فظاً غليظاً أعرج أعور أشلّ أفطح، إلى ما سوى ذلك، حتّى لا يُعيِّر أحد من الناس فيه شيء من الأخلاق السيّئة والنقصان في الخلقة.

وثالثاً: بأنَّ السهو منقصة فيه ذاتيّة، ولا يتدارك هذه المنقصة دفع العار عن الناس، لأنَّ الأعمال تابعة لمصالحها ومفاسدها الشخصيّة[1].

ورابعاً: بأنَّ رفع توهم الربوبية لا ينحصر في السهو والنوم، بل له طرق أُخرى، ومن يغويه الشيطان فيوقعه في حبائل هذا الزعم، فلا يمنعه دعوى السهو والنوم،

---

(١) ويجب في النبيّ كمال العقل وذلك ظاهر وأن يكون في غاية الذكاء والفطنة وقوّة الرأي بحيث لا يكون ضعيف الرأي متردّداً في الأُمور متحيّراً؛ لأنّ ذلك من أعظم المنفِّرات عنه، وأن لا يصحّ عليه السهو لئلّا يسهو عن بعض ما أُمر بتبليغه، وأن يكون منزّهاً عن دناءة الآباء وعُهر الأُمّهات لأنّ ذلك منفّر عنه.

(كتاب كشف المراد في تجريد الاعتقاد، باب في وجوب العصمة).

عدّة من أصحابنا، أحمد بن محمّد بن خالد، عن بعض أصحابه رفعه قال: قال رسول الله ﷺ:

ما قسم الله للعباد شيئاً أفضل من العقل، فنوم العاقل أفضل من سهر الجاهل، وإقامة العاقل أفضل من شخوص الجاهل، ولا بعث الله نبيّاً ولا رسولاً حتّى يستكمل العقل ويكون عقله أفضل من جميع عقول أُمّته، وما يضمر النبيّ في نفسه أفضل من اجتهاد المجتهدين، وما أدّى العبد فرائض الله حتّى عقل عنه ولا بلغ جميع العابدين في فضل عبادتهم ما بلغ العاقل، والعقلاء هم أُولوا الألباب الذين قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾.

(أُصول الكافي: كتاب العقل والجهل، ح ١١).

كما أنَّه ما منع من قال بهذه المقالة نسبة السهو والنوم إليه ﷺ.

وأما معرفة حكم السهو من فعله فالبيان فيها أفصح، والتعليم بها أوضح، وبه غنىً عن فعله، ولربما لا يُغني عن البيان في اللفظ.

الشبهة الثانية:

التفصيل بين سهو النوم وغيره، فيجوز في الأوّل دون الثاني

حكي عن الشيخ المفيد(أعلى الله مقامه) في الردّ على الصدوق في كلامه السالق التفصيل بين السهو في العبادة الناشئ عن غلبة النوم حتّى يخرج الوقت فيقضيها بعده، فيجوز عليه، وبين السهو الناشئ عن غير النوم، فلا يجوز معلّلا ذلك بأنَّه نقص عن الكمال الإنساني وعيب يمكن التحرز عنه، وهذا بخلاف النوم، لأنَّه ليس بنقص ولا عيب، إذ لا ينفك عنه بشر[1].

وجوابه: بأنَّ الفرق بين السهوين -إن كان النقص والعيب- فهو جارٍ في السهوين، لأنّ النوم عن الصلاة المفروضة، والسهو في الصلاة الواجبة: نقص في الإنسان ذي الدِّين والفضيلة، فكيف بسيّد الرسل وإمام الأمّة؟ وإن كان النصّ فإنّه مردود لمنافاة لحكم العقل وللنصوص الكثيرة الصريحة: على أنّها تعارض ما دل على أنّ الإمام تنام عينه ولا ينام قلبه، فهو إذاً كالتارك عن عمد، بعد أن كان يقظان القلب وشاعراً بالوقت.

---

(١) كتاب عدم سهو النّبي ﷺ: تأليف الشيخ المفيد محمّد بن محمّد النعمان ابن المعلم أبي عبدالله العكبري، البغدادي، المتوفّي ٤١٣هـ.

الشبهة الثالثة:

لو كانوا يعلمون الموضوعات للزم سدّ باب معاشهم ومعاشرتهم

إنّك على حبر بما تقوم به السوق من الكذب والسرقة، وتقلب النقود المغصوبة فيه بأيدي الناس، وبوجود النجاسة الواقعيّة في الناس، وبإرتكابهم للمحرّمات، ولو كانوا حاضري العلم لسدّ عليهم باب المعاش والمعاشرة، لمخالفة الظاهر للواقع، ولوجب عليهم ردع المرتكب للمحرّمات في السرّ والعلن، أو إقصاؤهم عنهم، ولا نجدهم كانوا على هذا مع الناس في المعاش والمعاشرة.

والجواب ـ أوّلاً: إنّ معاملتهم بالإمارات الظاهرية مع الناس لا يستلزم عدم علمهم بالواقع، إذ لا يجوز أن يكون تكليفهم في العمل على الظاهر، وإن خالف ما علموه، لعدم إمكانهم أن يعلموا مع الناس بما علموا.

وثانياً: بأنهم يعملون بما يعلمون، ومن الذي أعلمنا بأنّهم لا يقدرون على العمل بالواقع؟ ولم كان باب المعاش والمعاشرة يسد عليهم، وهم بتلك القدرة التي من الله تعالى عليهم بها؟ **نعم!** لم تكن معاملاتهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الناس على الواقع، فعدم قدرتهم على تنفيذ الأحكام الإلهية، سوى ماكان يمت إليهم بالولاء، فإنّهم كانوا يردعونهم عن المنكرات، وإن عملواها في الخفاء، ومن سبر شيئاً من أحوال الأئمّة عليهم السلام عرف هذا الأمر... ولو كانت معاملاتهم جارية على الظاهر دون العلم، لاتفق لهم الخطأ والسهو، ولانكشفت لهم المخالفة لأعمالهم، مع أنّه لم يتفق لهم ذلك طيلة أيامهم.

الشبهة الرابعة:

قبح العلم الفعلي أحياناً بالموضوعات

لو كان علمهم بالموضوعات فعليّاً دوماً، لقبح أحياناً بعضه، كالعلم بفروج النساء حال الجماع.

وجوابه: بأنّ العلم بالقبيح والمنكر والمستهجن ليس بقبيح ذاتاً، وإلّا لكان علم العلّام تعالى بالأُمور القبيحة قبيحاً، بل وخلقه لآلات التناسل قبيحاً، وللحيوانات النجسة العين ـ كالكلب والخنزير ـ قبيحاً.

نعم! إنّما بقبح تعلم القبيح، والإستعلام والتجسس عنه، وارتكابه ومن ثم اشتبه هذا على ذي الشبهة، فحسب أنّ العلم بالقبيح أيضاً قبيح.

الشبهة الخامسة:

الأصل عدم علمهم الفعلي

إنّ علمهم كوجودهم حادث ومسبوق بالعدم، فالأصل بقاؤه على ما كان، وإنّما خرج عن الأصل ما تيقن بالدليل، وهو ما كان بالإشاءة.

وجوابه: بأنّ المدار على هذا العرض على أفاده الدليل، وقد سبق أنّ الدليل عقلاً ونقلاً شاهد على فعليّة علمهم وحضوره، على أنّ مثل هذه الأصول مقطوع استمرارها للقطع بحدوث علم لهم، كما انقطع أصل الوجود بحدوث الوجود.

الشبهة السادسة:

لو كان علمهم حاضراً للغى نزول جبرائيل

إنّ نزول جبرائيل بالوحي والآيات، وإخباره بالحوادث والكائنات، دليل

قطعي على عدم فعلية علم النّبي. إذ لو كان فعلياً لما احتاج إلى مجيء جبرائيل، وغشيانه بالوحي، وإعلامه بالحوادث، ويؤيّده قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾[1] فإنّ نزول الملائكة والروح على النبي أو على الإمام بعده في ليلة القدر وإتيانهم بكلّ أمر يحدث في تلك السنة، شاهد لعدم علمهم بما تأتي به الأيّام، لولا تنزّل الملائكة والروح.

وجوابه ـ **أوّلاً**: بأنّ لعلمهم الحاضر منابع يستقون من فراتها، وموارد ينتهلون من معينها؛ ومن تلك المنابع والموارد غشيان الملائكة عليهم بالوحي والإعلام بالحوادث، وهذا لا ينافي أن يكون علمهم حاضراً ولحضوره أسباب ودواع.

وثانياً: بأنّ إنزال الملائكة وجبرائيل والروح بالآيات والحادثات، إنّما هو لإقامة الحجّة وتأييد الدعوة، ومن ثمّ كان تعدّد الأنبياء على الأمم بل وتعددهم في الوقت الواحد، كما كان لكلّ واحد منهم آيات عديدة ودلائل أكيدة، تقوم على صدق دعواه، ومن تلك الحجج المقامة على العباد إشهاده تعالى عليهم بجعل الحفظة والكرام الكاتبين وتسجيلهم كلّ عمل وقول، مع أنّه جلّ شأنه هو الحفيظ الرقيب والشاهد غير الغائب.

ولو أخذنا بما يدّعيه الخصم للغي كل هذه البيّنات، وبطل كلّ هذه الآيات والحجج والبراهين.

وثالثاً: بأنّ مثل هذه الحجج المقامة إنّما تكون لطفاً منه بعباده، لتقريبهم إلى الطاعة وتبعيدهم عن المعصية، ولو لا ذلك لكان في العقل وإقامته حجّة على العبد، كفاية عن سواه من الدلائل المنصوبة.

ورابعاً: بأنّ هذه الدعوى مصادمة للبراهين العقليّة والشواهد النقليّة، ولا نرفع

---

(١) سورة القدر: ٤.

اليد عن صريح تينك الحجّتين، بمجرّد الاحتمال والاستبعاد، ولو جهلنا الحكمة في إنزال جبرائيل بالوحي لتأولناه بصريح العقل والنقل.

وهذه أقوى الشبه التي أوردوها لدفع العلم الحاضر وأقاموها لتأييد زعمهم بأنّه موقوف على الإشاءة، وقد عرفت الجواب عنها والدفع لها.

زبدة المخض

إنَّ البرهان العقلي دل ـ نظراً لحاجة الناس الماسة إلى وجود الهادي بين ظهرانيهم، والمصلح لشؤونهم، والحاكم بالعدل بينهم، إلى ما سوى هذا ممّا يتطلّبه صالح أُمورهم في الدارين ـ:

على أنّ الله تعالى يجب عليه لطفاً بعباده أن يجعل فيهم ـ وقد جعل ـ من يكون العالم بالكائنات كافّة، والعلوم والفنون، والمتحلّي بأبراد الكمال كلّها، حتّى يكون الفرد الأوحد في عصرة، الصالح للنهضة بالإرشاد والهداية للعالم، والمضطلع بهذا العبء الباهض، حتّى لو كانت له الهيمنة على الكرة الأرضيّة برمّتها، لاستطاع أن يدير شؤونها أحسن إدارة، ويدبر أُمورها أجمل تدبير كما يقوى على خصم كل محاجج بالقوّة البيانيّة والآيات الفعليّة، ويستطيع الجواب عن مسألة كلّ سائل بالكشف عن الحقيقة، وإماطة الستار عن الواقع، ليكون حقاً هو الحجّة البالغة من الخالق على الخلق والهادي لهم بعد ذلك الرسول المنذر.

وإنَّ النقل قد عاضد هذا البرهان العقلي، وفصل مجمله، وأبان غامضه حتّى لا يبقي لذي وهم ريب، ولذي مسكة عذر، في الاعتقاد بوجوب وجود ذلك الهادي في الأُمّة.

وقد جاءت الأفعال والأقوال ممن تجلبب بتلك الصفات الكريمة. وفقاً لتينك الدلالتين من العقل والنقل، حتّى يتضح للعالم أجمع أنَّ من يجب أن يوجد لطفاً منه

تعالى بعباده متحلياً بهاتيك الخصال الجميلة والهبات القدسيّة، قد أصبح والوجود مفاض عليه، بحيث لو فحص عنه طالب الحق لوجده شخصاً مرئياً وقالباً حسياً، لا يحيد عن تلك المزايا الجليلة قيد شعرة.

ولو قام ما يخال بأنّه برهان على أن ليس في البشر ممن يجمع هذه الخصال، ويتقمص بهذه الصفات، أو أنّها ليست بتلك السعة المزعومة. أو العلم منها خاصة، فهو مردود مرفوض، لمخالفته لجهتي العقل والنقل، بل وللوجدان: من فعل الإمام وقوله... فهل بعد هذه الحجج النيرة يصغى إلى شبهة، أو يلتفت إلى زعم...».

وقعود الناس عن معرفة تلك الحجّة البالغة، وسكوتهم عن طلب ذلك الإمام الهادي أو سلوكهم في غير سبيله، بعد سطوع نهجه، ووضوح أمره، لا ينقص من شأنه ولا يحط من كرامته، ولا يبطل حجّته، ولا يفسد المصلحة التي من أجلها أُختير وجعل إماماً، ومن جرائها اصطفي وانتخب.

وعدم إظهاره أو تظاهره بذلك العلم المخزون والفيض الغمر أحياناً. حذراً من عدم قبوله أو عدم احتماله، أو خشية من العدو الحاسد وبطشه أو خوفاً من غلوّ الناس وإفراطهم في الدعوة لا يكون ذلك شاهداً على عدم الوجدان لذلك العلم أو عدم سعته، وما تحمل الإمام للمصائب والنوائب، وهو القدير على دفع ما مني به، ورفع ما نزل بساحته، إلّا لتأكد الحجّة على الخلق مع ما له من الحجج البالغة، وإلّا لدفع أوهام الغلاة، ومزاعم المفرطين في الحب، الذين يخرجون الإمام عن مستوى البشر، ويلبسونه أبراد الأولوهيّة.

وقد كشف عن هذه الغامضة السفير الجليل الحسين بن روح عليه الرحمة وقد سأله سائل قائلاً له: أخبرني عن الحسين بن علي عليه السلام أهو ولي الله؟ قال: **نعم**. قال الرجل: أخبرني عن قاتله لعنة الله أهو عدو الله؟ قال: **نعم**. قال الرجل: **فهل يجوز أن يسلّط الله تعالى عدوّه على وليّه.**

فقال له ابن روح: إفهم عني ما أقول لك، إعلم انَّ الله تعالى لا يخاطب الناس بمشاهدة العيان، ولا يشافههم بالكلام، ولكنه جلّ جلاله يبعث إليهم رسلاً من أجناسهم وأصنافهم بشراً مثلهم، ولو بعث إليهم رسلاً من غير صنفهم وصورهم، لنفروا عنهم، ولم يقبلوا منهم، فلمّا جاءهم وكانوا من جنسهم يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق، قالوا لهم: أنتم بشر مثلنا لا نقبل منكم حتّى تأتونا بشيء **نعجز** أن تأتي بمثله، فنعلم أنكم مخصوصون دوننا بما لا نقدر عليه. فجعل الله عزّ وجلّ لهم المعجزات التي تعجز الخلق عنها: فمنهم من جاء بالطوفان بعد الإنذار والإعذار، فغرق جميع من طغى وتمرد ومنهم من القى في النار، فكانت عليه برداً وسلاماً، ومنهم من أخرج من الحجر الصلد ناقة، وأجرى من ضرعها اللبن، ومنهم من فلق البحر وفجَّر له من الحجر العيون، وجعل له العصى اليابسة ثعباناً تلقف ما يأفكون، ومنهم من أبرأ الأكمه والأبرص وأحى الموتى بإذن الله، وأنبأهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم، **ومنهم** من انشقّ له القمر وكلمته البهائم مثل البعير والذئب وغير ذلك. فلما أتوا بمثل ذلك، وعجز الخلق من أُممهم عن أن يأتوا بمثله. كان من تقدير الله تعالى ولطفه بعباده وحكمته، أن جعل الأنبياء عليهم السلام مع هذه المعجزات في حال غالبين وفي حال مغلوبين، وفي حال قاهرين وفي حال مقهورين، ولو جعلهم الله تعالى في جميع أحوالهم غالبين وقاهرين، ولم يبتلهم ولم يمتحنهم، لاتّخذهم الناس آلهة من دون الله تعالى، ولما عرف فضل صبرهم على البلاء والمحن والإختيار. ولكنه تعالى جعل أحوالهم في ذلك كأحوال غيرهم ليكونوا في حال المحنة والبلوى صابرين، وفي حال العافية والظهور على الأعداء شاكرين، وليكونوا في جميع أحوالهم متواضعين غير شامخين ولا متجبّرين، وليعلم العباد بأنّ لهم إلهاً هو خالقهم ومدبّرهم، فيعبدوه ويطيعوا رسله وتكون حجّة الله ثابتة على من تجاوز الحدّ فيهم، وادّعى الربوبيّة لهم، أو عاند وخالف وعصى وجحد بما أتت به الأنبياء

والرسل عليهم السلام، ليهلك من هلك عن بيِّنة، ويحي من حي عن بيِّنة.

قال محدّث هذا الحديث «محمّد بن إبراهيم بن إسحاق»: فعدت إلى ابن روح من الغد، وأنا أقول في نفسي: «أتراه ذكر ما ذكر لنا يوم أمس من عند نفسه؟ فابتدرني فقال لي: يا محمّد لئن أخَّر من السماء فتخطفني الطير، أو تهوي بي الريح في مكان سحيق، أحب إلى من أن أقول في دين الله تعالى برأيي ومن عند نفسي، بل ذلك عن الأصل، مسموع عن الحجّة عليه السلام[1].

وهل بعد هذا البيان من عذر أو حجّة لمن يزعم بأنهم لا يعلمون على ما يقدمون، وأن دائرة علمهم ضيقة لا تحيط بالحوادث، ولعمر الحقّ إنَّ القول بحضور علمهم لا يحتاج إلى كلّ هذه الحجج والبراهين، بل إنَّ البعض ممّا سلف كافٍ في الإيضاح عنه والكشف عن نقابه وإزاحة الشبهةفيه غير أنّ وفور الأدلّة دعاناً إلى استطراد البعض منها وإن أغنى النزر منها.

---

(١) إكمال الدِّين وإتمام النعمة: باب ذكر التوقيعات الواردة عن القائم عليه السلام، ح٣٧.

علم الإمام يجب الاعتقاد به

لما كان نصب الإمام واجباً على الله جلّ شأنه من باب اللطف، وكانت معرفته بعد وجوب واجبة أيضاً عقلاً ونقلاً، كانت تلك المعرفة له يجب أن تكون بشخصه وكافّة صفاته، بحكم العقل وصراحة النقل.

فإذا وجب هذا كله، وجب أن يكون الإمام أفضل الناس في جميع الصفات الحميدة، وإذا وجب هذا أيضاً وجب أن يعتقد من يقول الإمام بأنّ الإمام جامع لصفات الفضل ممتازاً بها على العالم بأسره.

ومن تلك الصفات «العلم» وهذا ممّا لا ينبغي الريب فيه، كما أنَّ البحث في تفصيل هذه الأمور مذكور في كتب الكلام، في أبواب الإمامة، فلا يلزم ذكرها هنا؛ وإنّما الذي يلزم البحث عنه في هذا المقام أمران:

الأوّل: هو أنَّ علم الإمام ـ بعد وجوب الاعتقاد به ـ هل يجب على نحو التفصيل أو يكفي الإجمال.

الثاني: إنَّ هذا الاعتقاد ضروري، بحيث يكون من لا يعتقد ذلك منكراً لضروري من الضروريّات في الدين. أو ليس الأمر كذلك؟

أمّا الأوّل: فلم نجد دليلاً يرشدنا إلى وجوب الاعتقاد تفصيلاً. نعم أقصى ما يدل عليه العقل، هو أنَّ الإمام يجب أن يكون أعلم الناس فإذا وجب هذا، وجب على القائل بالإمامة الاعتقاد بذلك، لأنّه من شؤون الإمامة ولوازمها. ومن أرشده الدليل إلى التفصيل وجب عليه الاعتقاد بما وضح لديه، لأنه من شؤون الإمامة عند ذاك... وكيف نستطيع أن نقول بوجوب الاعتقاد بالتفصيل مطلقاً، والمعرفة التفصيليّة متعذّرة لمثل النساء والأطفال، بل وعامّة الناس.

أمّا الثاني: ففيه تفصيل، وذلك لأنَّ مثل الصبية والنسوة، بل والسواد العام لا يتعقلون في أنَّ علم الإمام، على نحو ما أشرنا إليه من الضروريّات، وإنَّ من يتعذر في شأنه فهم الشيء وإدراكه والوصول إلى كنهه كيف يكون اعتقاده به ضرورياً، **نعم!** إنَّ ذلك إنّما يتأتى في شأن الخواص وأهل العلم، ومن قام لديه الدليل على وجوب اتصاف الإمام بتلك الخصال الكريمة، فإنَّ العلم بالنسبة إليه ضروري وإنكاره شأن إنكار الضروريّات في الدِّين.

إنَّ لطف الإمامة إنّما هو بما يتحمّله الإمام من مسؤوليّة الهداية والإرشاد، ولا يتحمل تلك المسؤوليّة، ما لم يكن متقمّصاً بتلك الصفات الجميلة، فإنكار بعض صفاته التي بها امتيازه إنكار للطف الإمامة، فمن ثم يتضح لديك أنَّ العلم من ضروريات الدّين، وإنكاره إنكار للضروري.

فلا غرابة إذاً لو قلنا بوجوب الاعتقاد بعلم الإمام على نهج الاعتقاد بسائر صفاته، بل هو أظهرها. كما أنَّ إنكاره للخواص وأهل المعرفة إنكار للطف الإمامة. وكيف لا يكون العلم حينئذ ضرورياً لهم خاصّة.

العلم بعض صفات الإمام وصفاته أفضل الصفات

إنَّ علم الإمام بعض صفاته القدسيّة، التي يجب أن يتّصف بها الحجّة البالغة، ومنار الهدى والرشاد للعالم بأسره.

ولابدّ أن يكون الإمام في كلّ صفة نبيلة أفضل أهل عصره، فإنّه لو كان في الناس من هو أفضل منه، ولو في بعض الصفات، لما صح أن يكون حجّة على الأفضل، بل ولا المساوي، وما وجبت طاعته على الناس واستماعهم له، إلّا لتقمصه بجلباب الدعوة إليه تعالى، وإرشاده للناس إلى طاعته، وكفهم عن عصيانه، ولا يكون كذلك إلّا وهو خير الناس في الناس، ولو كان في الناس مثله أو أفضل منه، ولو من بعض النواحي، لكانت إمامته خاصة ترجيحاً بلا مرجّح.

ولا يخفى على ذي بصيرة بأنَّ الإحاطة بحقيقة الإمامة، وسبر غورها، ومعرفتها كمعرفة سائر الأُمور؛ شيء غير مطاق لنا، لأنّ الإمامة والنبوّة مظهر لصفات الله تعالى، ومثال لكمالات الخالق سبحانه و من يحيط خبراً بكماله العظيم وصفاته القدسيّة.

الإمام والإمامة

إنّ لأبي الحسن الرضا عليه السلام كلاماً في الإفصاح عن مقام الإمامة والإمام، والإشادة إلى بعض فوائدهما ووظائفهما، مما ينبئنا عن قصورنا عن إدراك هذه المنزلة، والإحاطة بتلك الحقيقة، وقد تكلم به عندما خاص الناس في الإمامة بمرو في الجامع يوم الجمعة، وقد حكي له ذلك.

ولما كان كلام الإمام هذا دخيلاً من بعض الجهات فيما نحن فيه من البحث، أردنا أن نلتقط من عقوده بعض اللئاليء الكريمة، لتكون مسك الختام.

قال عليه السلام:

«إن الإمامة أجلّ قدراً، وأعظم شأناً، وأعلى مكاناً، وأمنع جانباً، وأبعد غوراً، من أن يبلغها الناس بعقولهم، أو ينالوها بآرائهم، أو يقيموا إماماً باختيارهم».

وقال عليه السلام:

«إنَّ الإمامة منزلة الأنبياء، وإرث الأوصياء، إنَّ الإمامة خلافة الله تعالى، وخلافة الرسول صلى الله عليه وآله».

«إنَّ الإمامة زمام الدين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا، وعزّ المؤمنين».

«إنّ الإمامة أس الإسلام النامي، وفرعه السامي. بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد، وتوفير الفيء والصدقات، وإمضاء الحدود والأحكام، ومنع الثغور والأطراف».

«الإمام يحلل حلال الله، ويحرِّم حرام الله، ويقيم حدود الله، ويذبُّ عن دين الله، ويدعوا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والحجّة البالغة».

«الإمام كالشمس الطالعة المجللة بنورها للعالم، وهي في الأفق بحيث لا

تنالها الأيدي والأبصار».

«الإمام البدر المنير، والسراج الزاهر، والنور الساطع، والنجم الهادي في غياهب الدجى وأجواز[١] البلدان والقفار ولجج البحار».

«الإمام الماء العذب على الظمأ، والدال على الهدى، والمنجى من الردى».

«الإمام النار على اليفاع[٢]، الحار لمن اصطلى به[٣]، والدليل في المهالك، من فارقه فهالك».

«الإمام السحاب الماطر، والغيث الهاطل، والشمس المضيئة؛ والسماء الضليلة، والأرض البسيطة، والعين الغزيرة، والغدير والروضة».

«الإمام الأنيس الرفيق، والوالد الشفيق، والأخ الشفيق، والأم البرة بالوالد الصغير، ومفزع العباد في الداهية النآد[٤] أمين الله في خلقه، وحجته على عباده، وخليفته في بلاده، والداعي إلى الله والذاب عن حرم الله».

«الإمام المطهّر من الذنوب، والمبرأ من العيوب، المخصوص بالعلم والموسوم بالحلم، نظام الدين، وعزّ المسلمين، وغيض المنافقين وبوار الكافرين».

«الإمام واحد دهره لا يدانيه أحد، ولا يعادله عالم، ولا يوجد منه بدل، ولا له مثل ولا نظير، مخصوص بالفضل كله من غير طلب ولا اكتساب، بل اختصاص من المفضل الوهاب».

«فمن ذا الذي يبلغ معرفة الإمام، أو يمكنه اختياره؟ هيهات هيهات! ضلّت

---

(١) الأجواز جمع جوز: وسط الشيء ومعظمه.

(٢) اليفاع: ما ارتفع من الأرض.

(٣) لعلّه كناية عن احتراق من يريد السوء به أو العداء له الشديدة.

(٤) النادكسحاب: الداهية، ولعلّ المستفاد من تكرار المعنى الشدّة إذاً الداهية الشديدة.

العقول، وتاهت الحلوم، وحارت الألباب، وخسئت العيون، وتضاغرت العظماء، وتحيَّرت الحكماء، وتقاصرت الحلماء، وحصرت الخطباء، وجهلت الألباء[١] وكلت الشعراء، وعجزت الأدباء، وعييت البلغاء عن وصف شأن من شؤونه، أو فضيلة من فضائله، وأقرت بالعجز والتقصير».

«وكيف يوصف بكلّه، أو ينعت بكنهه، أو يفهم شيء من أمره، أو يوجد من يقوم مقمامه، ويغني غناه؟

لا وكيف وأني. وهو بحيث النجم من يد المتناولين، ووصف الواصفين، فأين الإختيار من هذا؟

وأين العقول عن هذا؟

وأين يوجد مثل هذا؟

أتظنون أن ذلك يوجد في غير آل الرسول صلى الله عليه وآله».

ثمّ قال عليه السلام:

«وكيف لهم باختيار الإمام؟ والإمام عالم لا يجهل، وداع لا ينكل معدن القدس والطهارة والنسك والزهادة والعلم والعبادة».

إلى أن يقول عليه السلام:

«..نامي العلم، كامل الحلم، مضطلع بالإمامة، عالم بالسياسة، مفروض الطاعة، قائم بأمر الله عزّ وجلّ، ناصح لعباد الله، حافظ لدين الله».

ثمّ قال عليه السلام:

«إنَّ العبد إذا اختاره الله عزّ وجلّ لأُمور عباده شرح صدره لذلك، وأودع قلبه ينابيع الحكمة، وألهمه العلم إلهاماً، فلم يعي بعده بجواب، ولا يحير فيه عن

---

(١) الألبّاء جمع لبيب: العاقل.

الصواب، فهو معصومٌ مؤيَّد، موفّقٌ مُسدّد، قد أمِنَ من الخطأ والزلل والعِثار، يخصّه بذلك ليكون حجّته على عباده، وشاهده على خلقه، وذلك فضل الله يؤتيه مَنْ يشاء والله ذو الفضل العظيم، فهل يقدرون على مثل هذا فيختارونه؟ أو يكون مختارهم بهذه الصفة فيقدّمونه[1].

***

هذه لؤلؤة ممّا زانوا به جِيدَ الدهر من البيان عن مقام الإمامة والإمام، ولم نضع هذه الرسالة الوجيزة للكلام عن الإمام حتّى نستوفي النقل لتلك الآيات البيّنات التي أفصحوا بها عن الإمامة وصرحوا بها عن شأن الإمام، أو نشرح هذه اللؤلؤة الغالية الجديرة بالشرح والحقيقة بالإعجاب.

وإنّما الغرض الأقصى ـ كما يرمز إليه عنوان الرسالة ـ هو البت في علم الإمام وأنّه حضوري ـ أو موقوف على الامشاءة والإرادة منه. وما كان الخوض منا في هذا البحر الزاخر إلّا على قدر ما نحسه وتصل إليه مداركنا، وتحكم به عقولنا، وتفهمه من أحاديثهم التي بين أيدينا.

وكيف تستطيع أن نحدد الإمام حقاً، ونحيط به معرفة، وما ذكر الإمام الرضا عليه السلام إلّا بعضاً من صفاته، وما هذا القمر مما ذكره الرضا عليه السلام من شؤون الإمامة، بالنسبة إلى مداركنا، إلّا كما قال عليه السلام: «**وهو بحيث النجم من يد المتناولين**»[2].

---

(١) راجع: أُصول الكافي، كتاب الحجّة، باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته، ح ١؛ بحار الأنوار ٥٦: ١٢٧؛ تحف العقول، وصفه عليه السلام الإمامه والإمام: ٧.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام، باب ما جاء عن الرضا في صفة الإمامة، ح ١؛ بحار الأنوار، العلّامة المجلسي ٢٥: ١٢٥؛ الغيبة النعماني، باب ١٣، ما روي في صفته وسيرته وفعله.

وكفى برهاناً على ارتفاع ذلك المنار هذه الآية البيانيّة والمعجزة الكلاميّة التي أفصحت عن بعض شمائل الإمام وصفات الإمامة، فإنّها دلالة من الإمام عن الإمامة وعلّامة بينة منه عليه، بل وإمارة قائمة على بعد ذلك المنال عن أبصارنا وبصائرنا.

وما معرفتنا به إلّا على قدر ما نلمسه من آثاره، ونقرأه من أخباره، نسأله جلّ شأنه أن يعرفنا نفسه، لنعرف بذلك رسوله ﷺ، أن يعرفنا رسوله لنعرف بذلك حجّته، وأن يعرفنا حجّته لنهتدي لدينه ولا نضلّ عن سبيله، إنّه خير مسؤول، وأكرم مجيب، وهو ولي التوفيق والهداية.

***

كان الفراغ من تسويد هذه الرسالة صبح الاثنين الثالث عشر من صفر الخير أحد شهور السنة الواحدة والستين بعد الألف.

والثلاثمائة هجريّة على مهاجرها أفضل الصلاة والتحيّة.

مصادر التحقيق والتعليق

* بعد كتاب الله المجيد.

١ ـ أُصول الكافي. المحدّث الخبير ثقة الإسلام محمّد بن يعقوب الكليني الرازي. المتوفّي سنة ٣٢٩/٣٢٨هـ. الناشر دار الأسوة للطباعة والنشر (التابعة لمنظّمة الأوقاف والشؤون الخيريّة).

٢ ـ بصائر الدرجات الكبرى، المؤلّف: للثقة الجليل والمحدّث النبيل شيخ القميّين أبو جعفر محمّد بن الحسن بن فروخ الصفار. المتوفّى ٢٩٠هـ. تحقيق السيّد محمّد السيد حسين المعلم، انتشارات المكتبة الحيدريّة.

٣ ـ وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تأليف الفقه المحدِّث الشيخ محمّد بن الحسن الحرّ العاملي، المتوفّي سنه ١١٠٤هـ، تحقيق مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

٤ ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الأقدم والمحدِّث الأكبر أبي جعفر الصدوق المتوفّي سنة ٣٨١هـ. صححه وقدم له وعلق عليه العلّامة الشيخ حسين الأعلمي ومنشورات ذوي القربى.

٥ ـ مستدرك الوسائل، لخاتمة المحدِّثين الميرزا الشيخ حسين النوري الطبرسي المتوفّي سنة ١٣٢٠هـ مؤسّسة آل البيت عليهم السلام الاحياء التراث.

٦ـ موسوعة الإمام على بن أبي طالب عليه السلام.

٧ـ من لا يحضره الفقيه تأليف المحدث الأكبر أبي جعفر الصدوق المتوفّي سنة ٣٨١هـ ط جماعة المدرسين في الحوزة العلميّة في قم المقدّسة.

٨ـ عدم سهو النّبي صلى الله عليه وآله تأليف الشيخ المفيد محمّد بن محمّد النعمان المعلم أبي عبدالله العكبري البغدادي، المتوفّي ٤١٣هـ.

٩ـ كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، تأليف العلّامة الحلّي تحقيق وتعليق الشيخ حسن حسن‌زاده الآملي. مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة.

١٠ـ بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأمة الأطهار عليهم السلام محمد باقر بن محمد المجلسي (ت ١١١٠ هـ. ق) بيروت: مؤسسة الوفاء ١٤٠٣ هـ ق، الطبعة الثانية.

١١ـ الغيبة، تأليف الشيخ الجليل أبي عبدالله محمّد بن إبراهيم بن جعفر الكاتب المعروف بـ«ابن أبي زينب النعماني» المتوفّي حدود سنة ٣٦٠هـ تحقيق فارسي متون كريم، مؤسّسة انتشارات مدين.

١٢ـ الأُصول الستّة عشر من الأُصول الأوّليّة مجموعة من كتب الرواية الأوليّة في عصر الأئمّة المعصومين عليهم السلام، تحقيق ضياء الدِّين المحمودي الناشر دار الحديث للطباعة والنشر.

١٣ـ تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله، تأليف الشيخ الثقة الجليل الأقدم أبو محمّد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني من أعلام القرن الرابع قدّم له وعلّق عليه الشيخ حسين الأعلمي منشورات آفرند.

١٤ـ المقرر في شرح منطق المظفّر، تأليف السيد رائد الحيدري منشورات ذوي القربى.

١٥ـ ماضي النجف وحاضرها، تأليف جعفر باقر آل‌محبوبة، ط النعمان.

١٦ ـ أعلام الشيعة، تأليف الشيخ آغا بزرك الطهراني.

١٧ ـ الاستبصار فيما اختلف من الأخبار، تاأليف شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي.

١٨ ـ تهذيب الأحكام تاليف شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي.

١٩ ـ الخصال: للشيخ الجليل الأقدم الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، المتوفّى ٣٨١ هـ صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة.

٢٠ ـ المعجم الأصولي تاليف الشيخ محمد صنقور علي، ط منشورات الطيار.

٢١ ـ معجم المؤلّفين، مصنّفي الكتب العربيّة، تأليف عمر رضا كحالة، ط النرقي بدمشق.

٢٢ ـ كتاب ماضي النجف وحاضرها، تأليف الشيخ جعفر باقر آل محبوبة، ط ١ النعمان ـ النجف.

٢٣ ـ شعراء الغري، تأليف علي الخاقاني.

٢٤ ـ أعلام الشيعة، تأليف الشيخ أغا بزرگ.

٢٥ ـ عقائد الامامية، للشيخ محمد رضا المظفر.

٢٦ ـ شعراء النجف، تأليف الاستاذ عبدالكريم الدجيلي.

٢٧ ـ حق اليقين، تأليف السيد عبدالله شبر.

٢٨ ـ الملل والنحل، أبو الفتح محمد الشهرستاني، دار صادر، بيروت.

٢٩ ـ لسان العرب، تأليف محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي.

الفهرس

الإهداء ٣
المقدمة ٥
بعض فوائده: ٦
منهجية التحقيق: ٦
ترجمة الشيخ المظفّر ٩
١ ـ نسبه ٩
٢ ـ ولادته ووفاته ١٠
٣ ـ أُسرته ١٠
٤ ـ مشايخه في العلم ١١
٥ ـ آثاره العلميّة ١٢
د ـ مقالاته ١٣
٦ ـ الشيخ المظفّر إجازة الرواية ١٣
٧ ـ الشيخ المظفّر وجمعيّة منتدى النشر ١٤

٨ ـ الشيخ المظفّر والشعر ١٥
كتاب وجيز يبحث عن علم الإمام وكميّته وكيفيتا عن طريقي العقل والنقل .. ٢١
مقدّمة المؤلّف ٢٣
باعث التأليف ٢٣
مقدّمات أمام البحث ٢٧
علم النّبي صلى الله عليه وآله ٣١
وظيفة الخليفة ٣٣
الخلافة وأهل البيت عليهم السلام ٣٥
علم الإمام الحضوري ٣٧
من طرق العقل ٣٧
الطريق الأوّل: الحضوري أنفع للأمة ٣٩
الطريق الثاني: الحضوري أكمل في الرسالة والإمامة ٤١
الطريق الثالث: الحضوري أسبغ في النعمة ٤١
الطريق الرابع: الحضوري أتمّ في القدرة ٤٢
الطريق الخامس: الحضوري أكمل في اللطف ٤٢
الطريق السادس: الأولى في الإمام اختيار الأفضل ٤٣
الطريق السابع: الحضوري أبلغ في المثاليّة ٤٤
الطريق الثامن: الحضوري أبلغ في الدلالة ٤٦
الطريق التاسع: ذو العلم الحضوري أسلم عن الإنخداع ٤٦
الطريق العاشر: لابدّ أن يكون علم السفير والشهيد حضوريّاً ٤٧

هل هناك حكم عقلي معارض؟ ٤٧
الجواب عن الأوّل ٤٨
الجواب عن الثاني ٤٨
الجواب عن الثالث ٤٩
البرهان النقلي على علم الإمام الحضوري ٥٣
ما دلَّ من الكتاب على علمهم الحضوري ٥٥
ما دلّ من الحديث على علمهم الحضوري ٥٧
الطائفة الأُولى: الأئمّة خزنة العلم والحجّة البالغة ٥٧
الطائفة الثانية: علمهم بما في السماء والأرض ٥٩
الطائفة الثالثة: إنّ الأئمّة هم الراسخون في العلم والذين أُوتوا العلم ٦٠
الطائفة الرابعة: الأئمّة معدن العلم ووارثوه ٦١
الطائفة الخامسة: الأئمّة ورثة علم النّبي صلى الله عليه وآله ٦٣
الطائفة السادسة: إن لديهم جميع الكتب ويعرفونها على اختلاف ألسنتها ٦٥
الطائفة السابعة: الأئمّة يعلمون الكتاب كلّه ٦٦
الطائفة الثامنة: عندهم جميع العلوم ٦٧
الطائفة التاسعة: يعلمون حتّى بإنقلاب جناح الطائر ٦٨
الطائفة العاشرة: إنّ الأئمّة الشهداء على الناس ٦٨
منابع علمهم ٧١
أُولاهن: إنّ عندهم الإسم الأعظم ٧٣
ثانيهن: إنّ عندهم آيات الأنبياء: ٧٤

ثالثهن: ماعندهم من الجفر والجامعة ومصحف فاطمة ومايحدث بالليل والنهار ٧٥
الأدلّة النقليّة المعارضة ٧٩
الكتاب ٧٩
ما دلّ من الكتاب على إن علمهم ليس بحاضر ٧٩
«الجواب عنها» ٨١
الأخبار النافية للأخبار الدالة على الحضور ٨٣
الطائفة الأولى: كانوا لا يعلمون الغيب ٨٣
الطائفة الثانية: سهو النّبي والأئمّة ٨٤
الطائفة الثالثة: نوم النّبي عن الصلاة الصبح ٨٧
الطائفة الرابعة: متى شاء الإمام أن يعلم أعلمه الله تعالى ٨٩
المؤيدات لهذا الجمع ٩٠
الأوّل: استمرارهم عملاً وقولاً على عدم الحضور ٩٠
الثاني: إقدامهم على القتل وشرب السمّ ٩٢
الثالث: الغلوّ ٩٢
الجواب عن الأوّل ٩٣
الجواب عن الثاني ٩٦
الجواب عن الثالث ٩٦
الجواب عن الرابع ٩٧
الجواب عن المؤيّد الأوّل ٩٨
استمرارهم على عدم العلم الحاضر: ٩٨

الجواب عن المؤيّد الثاني ١٠٢
إقدامهم على القتل وشرب السمّ ١٠٢
الجواب عن المؤيّد الثالث ١٠٤
الغلوّ ١٠٤
المؤيّدات لعلمهم الحضوري ١٠٧
الأوّل: علمهم منّة منه وهي تقضي بالحضوري ١٠٩
الثاني: إنَّ سائر صفاتهم غير مقيّدة ١٠٩
الثالث: الحضوري أبعد عن عصيان الناس وأقرب إلى طاعتهم ١١٠
الرابع: حاجة الناس إلى عالم حاضر العلم ١١٠
الخامس: الحضوري ممكن وقام الدليل عليه ١١٠
السادس: لو لم يكن علمهم حاضراً لجاز إن يوجد من هو اعلم منهم ١١١
السابع: جهلهم يستلزم السهو والنسيان وغيرهما أحياناً ١١١
الثامن: جهلهم يستلزم الحاجة للناس ١١٢
التاسع: جهلهم يستلزم أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ١١٢
العاشر: الجهل لازمه فعل ما يجب معه القصاص ١١٢
جملة القول ١١٣
شبهات بعض القائلين بعدم العموم والردّ عليها ١١٥
الشبهة الأولى: سهو النبيّ رحمةً للأُمّة ١١٧
الشبهة الثانية: التفصيل بين سهو النوم وغيره، فيجوز في الأوّل دون الثاني .. ١١٩
الشبهة الثالثة: لوكانوا يعلمون الموضوعات للزم سدّ باب معاشهم ومعاشرتهم . ١٢٠

الشبهة الرابعة: قبح العلم الفعلي أحياناً بالموضوعات ١٢١
الشبهة الخامسة: الأصل عدم علمهم الفعلي ١٢١
الشبهة السادسة: لو كان علمهم حاضراً للغى نزول جبرائيل ١٢١
زبدة المخض ١٢٣
علم الإمام يجب الاعتقاد به ١٢٧
العلم بعض صفات الإمام وصفاته أفضل الصفات ١٢٩
الإمام والإمامة ١٣٠
مصادر التحقيق والتعليق ١٣٥
الفهرس ١٣٩